

مرشيد حمو

ثورة

جبل الأكراد

"حركة المريدين"

دراسة حول مقاومة الجبل وحركة المريدين

١٩٢١-١٩٤٦

ضد الاستعمار الفرنسي

الوجه الأول لغلاف الكتيبة

الطبعة الأولى ٢٠٠١
جميع الحقوق محفوظة للكاتب

"نيسين ما في"

المعبد ما في نيسين ما في نيسين ما في نيسين ما في نيسين ما في

نيسين ما في

١٧٦١ - ٢٣٢١

المقدمة:

عندما احتلت فرنسا سورية عقب الحرب العالمية الأولى كدولة منتدبة عليها بموجب اتفاقيتي سايكس- بيكو عام ١٩١٦، وسان ريمو عام ١٩٢٠، عمّ الاحتجاج جميع أرجاء سورية، سرعان ما تطور إلى حركة مقاومة، فثورة شاملة انتشرت في جميع مدن وأرياف البلاد. وكانت في عدادها ثورة إبراهيم هنانو التي امتدت من جبل الزاوية إلى المناطق الشمالية من البلاد حتى لواء اسكندرون، وكان كفاح أبناء منطقة جبل الأكراد (عفرين) ضد المستعمر الفرنسي يدخل في إطار هذه الثورة.

فقد قام أبناء هذه المنطقة منذ الأيام الأولى من دخول الفرنسيين إليها، بمقاومة شديدة ضد قواتهم، واشتبكوا معها في العديد من المعارك. ثم ما لبث أن تطورت حركة المقاومة هذه إلى ثورة مسلحة ومنظمة تحت اسم "حركة المريدين" بلغت ذروتها في عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ إبان مؤامرة سلخ لواء اسكندرون عن سورية. ومن أجل قمع الثورة زج المستعمر الفرنسي بلواء كامل من الجيش في المعركة، وقامت طائراته بقصف القرى وتدمير المنازل وتهجير أكثر من ثمانية آلاف مواطن من الرجال والنساء والأطفال إلى تركيا.

ولكن رغم الأعمال الوحشية التي قام بها المستعمرون الفرنسيون ضد سكان المنطقة لم يستطيعوا قتل روح المقاومة فيهم، بل استمروا في الجهاد ضدهم حتى جلاء آخر جندي فرنسي عن الوطن عام ١٩٤٦.

ولكن لدى النظر في الدراسات والبحوث التي أجريت لتدوين وقائع وأحداث تلك المرحلة المهمة من تاريخ سورية، نجد أن أحداث هذه المنطقة من البلاد غابت عن اهتمام أولئك الباحثين سوى ما كتب بأقلام بعض المستشرقين الأجانب الذي قد لا يخلو من تحريف.

هذا رغم أن هذه المنطقة كانت تحتل في تلك المرحلة موقعاً حساساً جداً سواءً بتلاصقها مع لواء اسكندرون وتأثرها بما كانت تجري هناك من أحداث، أو بحدود تركيا التي كانت مركزاً للتوترات آنذاك من جهة ثانية.

ونرجو أن تساهم هذه الدراسة المتواضعة في ملء ثغرة وإغناء جانب من تاريخ نضال شعبنا السوري ضد الاحتلال الاستعماري في أدق مراحلها.

رشيد حمو

آ- منطقة كرد طاغ (جبل الأكراد):

يطلق اسم "كرد طاغ" (وهي كلمة تركية تعني جبل الأكراد) على ذلك الجزء من سورية الواقع في الجهة الشمالية-الغربية لمدينة حلب، والمعروف حالياً بـ "منطقة عفرين" وهي منطقة جبلية مأهولة بالأكراد في سورية. وكان هذا الاسم يطلق سابقاً في عهد الدولة العثمانية، على تلك المنطقة الممتدة من المرتفعات المشرفة على سهل "إعزاز" و"مرج دابق" وتتصل بسلسلة جبال "طوروس" من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي، وتتأخم سهل "إنطاكية" و"اسكندرون" من الغرب، وسميت هذه المنطقة بـ "كرد طاغ" أو "جبل الأكراد" لكون كثافة سكانها من الأكراد.

ويقول "رينه ديسو" في كتابه عن (الطوبوغرافية التاريخية لسورية القديمة و الجنوبية أن كرد طاغ، وسهل إنطاكية المتأخم لها، كانا منذ القدم مأهولين بالأكراد^١.

وقد عرّف المؤرخ والمستشرق السوفيتي المعروف: م.س. لازاريف في كتابه "المسألة الكردية" ١٩١٧-١٩٢٣، هذه المنطقة المتصلة بالأقاليم الكردية من الشمال بـ "کردستان الجنوبية-الغربية"^٢. لكونها تضم أربعة ولايات كردية من أصل ثمانية عشر ولاية التي تشكل منها كردستان الشمالية-التركية اليوم- وهذه الولايات الأربعة هي: (عنتاب، ملاطية، آدي يامان و أورفة). وكان يسكن هذه المنطقة علاوة على الأكراد، عرب و أتراك و مهاجرون أرمن، وكان الأرمن يطالبون بربط "كيليكيا" التي قاعدتها "أضنه"

^١ - مصطفى نر دار، دراسة منظمة فتح "الأكراد وکردستان" ص ٣١٠.

^٢ - م.س. لازاريف، "المسألة الكردية" ١٩١٧-١٩٢٣، ص ٢٥٢.

وبعض الأقاليم المتاخمة لها مثل "مرعش"، بالدولة الأرمنية في "يريفان" وكان يقترح بأن توضع هذه الدولة الأرمنية تحت الانتداب الأمريكي.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، أثناء تقسيم ممتلكات الإمبراطورية العثمانية بين الدول المنتصرة في الحرب (الحلفاء)، وبموجب الاتفاق المعقود بين فرنسا وإنكلترا وإيطاليا، في العاشر من آب ١٩٢٠ جعلت هذه المنطقة ملحقة بـ "منطقة المصالح الخاصة بفرنسا" التي كانت حددها اتفاقية سايكس- بيكو عام ١٩١٦ والتي أقرت بسيادة فرنسا على الأقاليم الكردية المتاخمة لسورية والواقعة بين " كيليكية" والضفة الغربية لنهر الفرات، و بموجب اتفاق آب المذكور وحسب البيان الوارد في المادة (٧) تركوا لسورية- التي وقعت تحت الانتداب الفرنسي أيضاً- تركوا لها مدن (كلس، عنتاب، بيره جك، أورفه، ماردين، نصيبين و جزيرة ابن عمر)^١

ب- سورية تحت الانتداب الفرنسي:

بموجب اتفاقية سايكس- بيكو ١٩١٦ وقعت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي حيث قسمت سورية الطبيعية بموجب القرار الصادر عن المجلس الأعلى للحلفاء في (سان- ريمو) بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠ إلى قسمين :
أ- القسم الشمالي الذي يشمل سورية الحالية و لبنان و أعطي لفرنسا.
ب- القسم الجنوبي الذي يشمل فلسطين و شرقي الأردن و أعطي لبريطانيا العظمى.

^١ - كندال، "الأكراد في ظل الإمبراطورية العثمانية" دراسة فتح، ص ٦٤.

و تم التصديق على هذا القرار من قبل عصبة الأمم بتاريخ ٢٤ تموز عام ١٩٢٤ و أصبح نافذاً اعتباراً من ٢٩ أيلول عام ١٩٢٣^١.

ح- لواء اسكندرون- أما بالنسبة للواء اسكندرون الذي يشكل جزءاً من سورية، فقد أعطت اتفاقية سايكس- بيكو مناطق (مرسين واسكندرون) لفرنسا لتكون تحت انتدابها أيضاً.

ج- احتلال فرنسا للأقاليم الخاضعة لانتدابها:

في ٣ تشرين الأول عام ١٩١٨ دخل الأمير فيصل دمشق و رفع العلم العربي عليها، و في ٢٦ من الشهر نفسه، دخلت قوات المشاة العربية و قوة الفرسان البريطانية حلب سوية، واحتلت القوات العربية "إنطاكية" ثم احتلت " بيلان" و تقدمت نحو اسكندرون.

وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩١٨ وصلت القوات الفرنسية إلى "الاسكندر ون" و تقدمت في ٧ كانون الأول من العام نفسه لاحتلال "إنطاكية". بموافقة الجنرال الإنكليزي "اللبي" الذي أصدر أوامره بانسحاب جميع القوات العربية الفوري من المنطقة، وبذلك انتهت السيطرة العربية على منطقة "الإسكندر ون" و "إنطاكية" في شباط ١٩١٩.

وفي تشرين الثاني ١٩١٩ سلم الجنرال " اللبي" وبصورة رسمية، إدارة سورية و كيليكيا للمندوب السامي الفرنسي الجنرال "غورو"، و قسمت سورية إلى تقسيمات إدارية أربعة، منها:
ب- القسم الغربي (كل الساحل السوري بما فيها عكا واسكندرون)

ج- القسم الشمالي (كيليكيا) تحت الإدارة الفرنسية^١.

^١- د. نزار الكيالي، دراسة في تاريخ سورية المعاصر ١٩٢٠- ١٩٥٠، ص ٣٨.

أما بالنسبة لكيلىكيا والأقاليم المجاورة لها (كرد طاغ) فقد احتلتها القوات الفرنسية قبل التوقيع على (هدنة مودروس)، ودخلتها عن طريق مدينة " مرسين " الساحلية، باعتبارها منطقة نفوذ لها حسب معاهدة سايكس- بيكو التي استخدمت خطوطها العريضة كأساس لمعاهدة " سيفر " حول اقتسام الشرق الأدنى بين إنكلترا وفرنسا.

ولم يمض كثير وقت على احتلال فرنسا لهذه المناطق (سورية ،لبنان ،اسكندرون، كيليكيا، وكرد طاغ) حتى بدأت حركة المقاومة تظهر في جميع هذه الأقاليم ضد القوات الغازية.

د- حركات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي:

١- في سورية:

في ١٤ تموز عام ١٩٢٠ وجه الجنرال "غورو" إنذاراً إلى الملك فيصل يتضمن:

- ١- الاعتراف بالانتداب الفرنسي بلا قيد أو شرط.
- ٢- إلغاء النفير العام وتخفيض عدد الجيش السوري.
- ٣- قبول التعامل بورق النقد السوري.
- ٤- تسليم خط حديد رياق- حلب للقوات الفرنسية والسماح لها باحتلال مدينة حلب.
- ٥- معاقبة الأشخاص المناوئين للسلطة الفرنسية معاقبة زاجرة^٢.

^١- يوسف إبراهيم الجهماني وسالار أوسي، تركيا وسوريا، ص: ٢٦.

^٢- د.نزار الكيالي "المصدر السابق"، ص ٣٨.

ورغم قبول الملك فيصل بإنذار الجنرال "غورو" حرصاً منه على تخنيب الشعب السوري ويلات الحرب لعلمه بتفوق الجيش الفرنسي على الجيش السوري الفتى، فإن الجنرال غورو عقد العزم على احتلال سورية مهما كلف الأمر، فزحف بجيشه نحو دمشق والتقى بالقوات السورية عند قرية "ميسلون" القريبة من دمشق في ٢٤ تموز عام ١٩٢٠ حيث دارت معركة غير متكافئة بين الجيشين وسقط "يوسف العظمة" وزير الدفاع السوري شهيداً مع عدد كبير من رجاله - ثم تابع الجيش الفرنسي زحفه نحو دمشق ودخلها يوم ٢٥ تموز عام ١٩٢٠ دخول الغزاة الفاتحين^١.

وبدخول الجيش الفرنسي دمشق، ثارت ثائرة الشعب السوري الذي لم يرض بالانتداب الفرنسي وبالحكم الأجنبي، وقام بتنظيم حركة المقاومة ضد الاحتلال، فقامت عدة ثورات كبرى في سائر مناطق ومدن البلاد، استبسل فيها الثوار وقدموا أغلى التضحيات في سبيل الحرية والاستقلال.

ففي الجنوب قاوم الدروز ببسالة نير الاحتلال، وكذلك في جبال العلويين التي انتفض فيها الفلاحون تحت قيادة زعمائهم المحليين، وفي جبل الزاوية حيث استطاع الزعيم إبراهيم هنانو أن يعي الجماهير تحت قيادته ونظم حركة المقاومة ضد الفرنسيين عسكرياً من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٢٩٥، وسياسياً حتى عام ١٩٣٦، وفي منطقة الجزيرة التي قام سكانها بانتفاضات مشهودة لم تستطع القوات الفرنسية السيطرة عليها رغم حملاتها المتكررة إلا في بداية عام ١٩٢٧، وفي دمشق وحلب وغيرها من المدن السورية هب

^١ - دنزار الكيالي، نفس المصدر، ص ٤٠.

السكان عن بكرة أبيهم لمقاومة نير الاحتلال رغم أن موازين القوى لم تكن في صالح الشعب المقاوم^١.

وقامت حركة للأكراد السوريين بالقرب من تل كلخ، في كانون الأول عام ١٩١٩ بقيادة الأخوين نجيب وأحمد آغا برازي، وشارك الأكراد في العام الثاني ١٩٢٠ أكبر مشاركة فعالة في نضال الشعب العام ضد المحتلين الفرنسيين. ومنذ أواخر عام ١٩٢٠ أصبحت المقاومة الكردية بقيادة إبراهيم هنانو في مركز الثورة الفلاحية التي شملت منطقة شاسعة في شمال غرب سورية تمتد من حلب حتى اسكندرون، واستمرت حتى أواسط عام ١٩٢٣، كما شارك الأكراد في عدد كبير من الحركات التي قادها الشعب السوري ضد الاستعمار^٢. كما شاركوا في المعارك التي جرت بمحاذاة خط بغداد الحديدي.

٢- في لواء اسكندرون:

وعندما دخلت القوات الفرنسية لواء اسكندرون لفرض الانتداب عليه، بادر مصطفى كمال وهو في "أضنه" إلى تقديم احتجاج إلى الجنرال "اللي" في سورية، بدعوى أن اللواء منطقة خاضعة للإدارة التركية حسب اتفاق "هدنة مودروس" وينبغي إبقاءه تحت هذه الإدارة ريثما ينعقد مؤتمر الصلح العام ويتقرر مصير الممتلكات العثمانية.

وبهذا الصدد يكتب "طيفور سو كمن" * ما يلي:

^١- د. نزار كيالي، نفس المصدر، ص ٤٠.

^٢- م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٥٢.

* - طيفور سو كمن، هو ابن مصطفى باشا مرمل زاده رئيس عشيرة ريمانلي، قائد حركة المقاومة في لواء اسكندرون حتى عام ١٩٣٩ الذي سلخ فيه اللواء عن جسم سورية،

عند التوقيع على "هدنة مودرس" كان تقرر بأن تبقى المناطق التي تسيطر عليها القوات التركية تحت الإدارة التركية، وفي ذلك الوقت كانت الفرقة ٤١ التركية متواجدة في "سنجق اسكندرون" مما كان يستوجب بقاء السنجق تحت الإدارة التركية حسب القرار المذكور حين انعقاد مؤتمر الصلح، وبناء على ذلك، يعتبر احتلال فرنسا للسنجق مخالفاً لقرار الحلفاء^١

ومنذ اليوم الأول من دخول القوات الفرنسية لواء اسكندرون، بدأ الأتراك بتنظيم حركة مقاومة عسكرية وسياسية بقيادة "طيفور سو كمن" ضد فرنسا وسورية في آن واحد، يهدف إلى تشكيل دولة مستقلة من اللواء وبالتالي إلحاقه بتركيا.

٣- في كيليكيا وكرد طاغ :

وتزامناً مع حركة المقاومة في لواء اسكندرون، كانت حركة المقاومة المسلحة ضد القوات الفرنسية قد بدأت في كيليكيا وكرد طاغ أيضاً شاملةً جميع المناطق والمدن الرئيسية في المنطقة، مثل: "مرعش، عنتاب، أورفة وماردين وغيرها...". شارك فيها الأكراد مشاركة فعالة، وخاصة في كيليكيا التي يسكنها الأكراد جزئياً، والتي تتأخم الولايات الكردية مباشرة.

وفي هذه المعارك قاد زعماء العشائر الكردية الذين كانت لهم خبرة قتالية مفارز الأنصار التركية مراراً، كما استبسلوا في المعارك التي دارت في منطقة "أورفه"، وتمكنوا من طرد الفرنسيين من "مرعش" في نهاية كانون الأول عام ١٩١٩، لكنهم لم يكونوا

وأصبح رئيساً لدولة "هاتاي" حتى تاريخ إلحاقه رسمياً بتركيا.

١ - طيفور سو كمن:

"Teyfur Sökmen , doğumunun ١٠٠ üncü yilinde , S F ٥٢"

قادرين على الاحتفاظ بالمدينة، وعندما اضطرت فرنسا للخروج من المدينة، تركوا أمر الدفاع عنها لمهاجري الأرمن، الذين لم يتمكنوا من الصمود أمام قوات الثوار.

لقد أبدى الأكراد حمية أكبر في النضال ضد التدخل الفرنسي في المنطقة مندفعين من شعور من أنهم يقومون بذلك دفاعاً عن ديارهم الأصلية ويواجهون العدوان الاستعماري وجهاً لوجه، فقاتلوا بتفان في مناطق (مرعش، ماردين وغازي عنتاب) بصورة مستقلة أو في عداد التشكيلات التركية- العربية النظامية وغير النظامية^١

وفي هذه المرحلة أواخر عام ١٩١٩ كان للشعب الكردي نفس الأصدقاء والأعداء الذين كانوا للشعب التركي، أي أنه وجد أساس موضوعي للتحالف بين الحركتين القوميتين الكردية والتركية، إلا أن الكماليين قوضوا أساس هذا التحالف بمعاداتهم للحركة الكردية، ونشأ بين هاتين الحركتين في تلك الفترة بالذات صراع كانت له أبعاد بعيدة.

ففي عام ١٩١٩ كانت منطقة "ملاطية" مركزاً للاضطرابات، حيث عقد الأكراد العزم على رفع رايتهم القومية بانتفاضتهم في "ملاطية" التي اتخذ الكماليون إجراءات فعالة وعاجلة لقمعها، متهمين في ذلك الإنكليز بوجود ضلع لهم فيها، وفي هذا شاركت فرنسا أيضاً في إثارة تلك المزاعم بغرض نفي قسمة الإمبريالية عن نفسها.

وبسبب موقف الكماليين المعادي لهم لم يشأ الأكراد تقلبم المساعدة إليهم، بل جردوا السلاح ضد الفرنسيين والكمالين معاً،

^١ - م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص: ٢٥٦.

وبهذا وجد الأكراد أنفسهم في موقف غاية في الصعوبة واصطدموا في نضالهم بأكبر العقبات.

كانت القومية الكردية قد أصبحت منذ مطلع العشرينات، الخصم السياسي الأكبر للكماليين داخل البلاد، مما ولد عند الأكراد ميولاً معادية للأتراك أدت إلى نشوء تحفظ لدى الطرفين تجاه بعضهما البعض. ورغم دقة الموقف في ظل وضع كهذا، فقد شارك الأكراد في النضال ضد المستعمر الفرنسي إلى جانب الأتراك والعرب بفعالية كبيرة، وكانت مفارز الأطراف الثلاثة تقاتل وتقاوم جنباً إلى جنب.

أما سلطات أنقرة فقد كانت تتصرف بحال مناطق (كيليكيا وكرد طاغ واسكندرون) من اعتبار المناطق الثلاثة كلاً واحداً، وعلى أنها أرض تركية ينبغي تحريرها من الاحتلال الأجنبي.

يكتب طيفور سوكمين حول هذه المسألة ما يلي :

"في ٢١ نيسان ١٩٢٠ أرسلت رفقاً لي إلى "غازي عنتاب" لمراقبة الوضع وتنظيم المقاومة باعتبار أن غازي عنتاب تدخل ضمن الميثاق القومي لهاتاي.

وبعد ذهاب ذلك الرفيق، جاء مجاهدو "ملاطية" إلى "مرعش" للغاية نفسها، وكانت المنطقة كلها تدخل ضمن الميثاق القومي لهاتاي".

ويضيف قائلاً:

"كان مصطفى كمال يولي كل اهتمامه ب"هاتاي" وحواليها، سواءً من الناحية العسكرية، أو السياسية، إلى أن توصل مع الفرنسيين إلى تفاهم بحل مسألة "هاتاي" في عام ١٩٣٦^١.

^١ - طيفور سوكمين، المصدر السابق، ص: ٤٩.

كانت أطماع تركية تمتد إلى أبعد من المناطق التي يجري فيها الكفاح ضد الفرنسيين. ففي كلمة ألقاها مصطفى كمال أمام أعيان مدينة "أنقرة" بتاريخ ٣١ كانون الأول عام ١٩١٩ جاء فيها ما يلي:

"تضم هذه الحدود في داخلها تلك الأراضي التي كانت واقعة فعلاً تحت سيطرة جيشنا يوم عقد الهدنة وهي تبدأ من مركز ساحلي يقع إلى الجنوب من خليج اسكندرونة، ومن ثم يمر عبر إنطاكية، ومنها يمر في حلب وعبر محطة سكة الحديد "قطمة"، وتصل إلى الجنوب من مركز "جرا بلس" الخ... ولم تتم المحافظة فقط على هذه الحدود عملياً من قبل قواتنا المسلحة، لكنها تضم ضمن أراضينا المناطق التي يسكنها الأتراك أو الأكراد معاً".

واجهت القوات الفرنسية في كيليكيا والمناطق المجاورة لها مقاومة شديدة تضعضعت لها أوضاعها واضطرت إلى إخلاء المدن الرئيسية الواحدة منها تلو الأخرى، كانت آخرها مدينة "عنتاب" التي استمر فيها القتال الضاري مدة طويلة حيث كان للأكراد فيه باع طويل، لذلك سميت المدينة "غازي عنتاب" كما سميت مدينة "مرعش" بـ "قهرمان مرعش" أي "مرعش البطلة".

بعد انتصار مصطفى كمال في معركة "صقاريا" بات بقاء القوات الفرنسية في كيليكيا وكرد طاغ صعباً للغاية، فرغبت الحكومة الفرنسية في إجراء مفاوضات مع الحكومة التركية لإيجاد حل للمشكلات القائمة.

ففي ٩ آذار عام ١٩٢١، وقع بكر سامي بك مع وزير الخارجية الفرنسي "بريان" في "لندن" اتفاقية عسكرية وسياسية واقتصادية

^١ - م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ١٣٨.

واسعة تحافظ فرنسا بموجبها على مواقعها الاقتصادية السائدة وإمكانية التأثير السياسي في كيكيا وفي مناطق جنوب شرق الأناضول المجاورة لها. وذلك لقاء وقف وجودها العسكري فيها، كما تضمنت الاتفاقية تصوير الحدود التركية السورية. وليس صعباً أن نلاحظ أن هذه الاتفاقية، سواء من حيث جانبها الجغرافي، أم السياسي - الاقتصادي، قد مست كردستان الجنوبية الغربية، وأصبحت المسألة الكردية، وللمرة الأولى موضوعاً مباشراً للمفاوضات التركية - الفرنسية، وحصل الفرنسيون على إمكانية التغلغل في المناطق الكردية الواسعة الغنية^١.

اتفاقية فرانكلين - بويون:

وعلى الرغم من جميع العوائق، فقد واصلت باريس المضي في طريق التقارب مع الكماليين إلى أن توصلت الحكومتان إلى عقد معاهدة صلح تركية - فرنسية وقعها عن الجانب الفرنسي المفوض السامي مطلق الصلاحية فرانكلين - بويون، وعن الجانب التركي يوسف كمال بك وزير الخارجية التركية، حيث وقع الاتفاقية المعروفة باتفاقية "فرانكلين - بويون" في ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢١. وكانت هذه المعاهدة نقطة هامة على طريق سقوط نظام "سيفر" في الشرق الأوسط. لأنها دلت عملياً على انهيار جبهة دول الحلفاء المعادية لتركيا. والمتشكلة في بداية الحرب العالمية الأولى، والتي قوضتها بشكل كبير بعد أن وضعت الحرب أوزارها^٢.

^١ - م.س. لازاريف، نفس المصدر، ص: ٢٧٠.

^٢ - م.س. لازاريف، نفس المصدر، ص: ٢٧٤.

والمقتضى هذه المعاهدة تم إنهاء حالة الحرب بين فرنسا وتركيا، وتخلت فرنسا عن معاهدة "سيفر" واعترفت بحكومة أنقرة، وحددت بصورة نهائية الحدود التركية- السورية، أصبحت "إنطاكية" تابعة لتركيا أما "الاسكندرون" فلسوريا، (مع تأليف نظام إداري خاص). زد على ذلك أن فرنسا انسحبت من كيليكيا ومن المناطق الواقعة إلى الشمال من الحدود التركية- السورية، وبقيت سكة حديد بغداد الهامة من الناحية الإستراتيجية والممتدة من "جويان بك" وحتى "نصيبين" داخل الحدود التركية، ونالت تركيا حق نقل المعدات العسكرية عبر الخط الحديدي الذي يمر في الأراضي السورية. وحصل الرأسمال الفرنسي على عدد كبير من الامتيازات في جنوب شرق الأناضول، لكن مضمونها الكولونيالي قد ضعف كثيراً بالمقارنة مع اتفاقية ٩/ آذار^١. وأقرت المعاهدة وبصورة نهائية السيطرة الفرنسية على جزء من كرد طاغ الداخل ضمن سورية، وعرقلت وبصورة كبيرة الصلات الطبيعية بين العشائر الكردية في تركيا وفي سوريا^٢.

وبصدد لواء اسكندرون، أقرت المعاهدة قيام فرنسا بإدارته بموجب شروط الانتداب الممنوح لها على سورية بأكملها، مقابل التنازلات الثقافية الواسعة للسكان الأكراد في السنجق، واعترفت الاتفاقية أيضاً بأهمية ميناء الاسكندرونة لتركيا وبمنفذها الصالح للعمل على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

^١ - م.س. لازاريف، نفس المصدر، ص: ٢٧٤.

^٢ - م.س. لازاريف، نفس المصدر، ص: ٢٧٦.

ثم أن وضع السنحق السياسي كان مشوشاً إلى حد ما في الاتفاقية، حول وجوب رفع علمه الخاص (الذي يضم العلم التركي) مع أن البقعة أديرت بالتالي كأنها جزء مدموج بسوريا^١ وفيما يلي قسم من مواد المعاهدة:

المادة الأولى:

إن الفريقين الساميين المتعاقدين يعلنان أن حالة الحرب بينهما تنتهي اعتباراً من توقيع هذه الاتفاقية وينشر ذلك على الجيوش والسلطات الأهلية والسكان.

المادة الثانية:

اعتباراً من تاريخ توقيع هذا الاتفاق، يطلق سراح أسرى الحرب من الطرفين، وسراح كل الأشخاص الفرنسيين والأتراك المسجونين أو الموقوفين، ويعادون على نفقة الفريق الموجودين لديه إلى أقرب مدينة تعين لهذا الغرض.

المادة الثالثة:

تسحب الجيوش التركية نحو الشمال والجيوش الفرنسية نحو الجنوب من الخط المعين من المادة الثامنة، وذلك خلال مدة لا تتجاوز الشهرين اعتباراً من تاريخ توقيع هذا الاتفاق.

المادة الرابعة:

إن عمليات الإخلاء والاستيلاء التي تجري خلال المدة المعينة في المادة الثالثة تنفذ وفقاً لشروط تحدد باتفاق الطرفين من قبل لجنة مختلطة تعين من قبل القائدين العسكريين للطرفين.

المادة الخامسة:

^١ - فيليب روبنس، تركيا والشرق الأوسط، ص: ٣٢.

يمنح عفو شامل من قبل الطرفين المتعاقدين في المناطق التي أُخليت اعتباراً من تاريخ استلامها.

المادة السادسة:

إن حكومة المجلس الوطني الكبير في تركيا، تعلن أن حقوق الأقليات المعترف بها صراحة في العهدة الوطنية يحافظ عليها من قبلها على نفس الأساس المقرر بالاتفاقية المعقودة لهذا الغرض بين دول التحالف وأعدائها وبعض حلفائها.

المادة السابعة:

يوضع لمنطقة اسكندرون نظام إداري خاص ويتمتع سكان هذه المنطقة والذين هم من العرق التركي بكل التسهيلات اللازمة لتنمية ثقافتهم، ويكون للغة التركية في هذه المنطقة صبغة رسمية.

المادة الثامنة:

يحدد الخط المنوه عنه في المادة الثالثة كما يلي:
إن خط الحدود يبدأ من نقطة تنتخب في خليج اسكندرون جنوب بلدة "باياس" مباشرة ويتجه بوضوح نحو "ميدان أكيس" محطة الخط الحديدي والبلدة تبقيان / لسورية / ومن هناك ينحني الخط نحو الجنوب بصورة تبقى معها بلدة / مار سوبا / لسورية، وبلدة / كار نايا / و مدينة "كلس" لتركيا" ومن هناك يتصل بالخط الحديدي في محطة "جوبان بك" ثم يتبع خط حديد بغداد الذي يبقى سطحه في الأراضي التركية حتى "نصيبين" و"جزيرة ابن عمرو" وكذلك الطريق المذكور لتركيا، غير أنه تبقى للبلدين - تركيا وسوريا - نفس الحقوق بالانتفاع من هذا الطريق. إن المحطات في منطقة "جوبان بك" و"نصيبين" تصبح لتركيا باعتبارها تشكل جزءاً من سطح الخط الحديدي.

تشكل لجنة مؤلفة من مندوبين من قبل الطرفين خلال مدة شهر من تاريخ توقيع هذا الاتفاق لتحديد الخط المعين أعلاه وتباشر هذه اللجنة بأعمالها في نفس المهلة المعينة.

المادة الثانية عشر:

إن مياه نهر قويق توزع بين مدينة حلب والمنطقة الشمالية الباقية لتركيا بصورة عادلة، يبقى معها الطرفان راضيين عنها، ويحق لمدينة حلب أن تأخذ قسماً من مياه نهر الفرات في الأراضي التركية على نفقتها وذلك لسد حاجات المنطقة^١ وهناك أربعة مواد أخرى من الاتفاقية صرفنا النظر عن إيراد نصوصها لعدم علاقتها ببحثنا.

وبترسيم الحدود بين سوريا وتركيا، ألحق الجزء الشمالي من إقليم " كرد طاغ " بتركيا، فيما بقي الجزء الجنوبي منه الذي يسمى الآن " جبل الأكراد - عفرين " تحت السيادة السورية والانتداب الفرنسي. ولكن، بالرغم من اتفاقية فرانكلين - بويون، ظلت المناوشات العسكرية مستمرة بين القوات الفرنسية والقوات التركية المنتشرة على طرفي الحدود.

وفي عام ١٩٢٥ تشكلت لجنة مختلطة من العسكريين الفرنسيين والأتراك لتحديد الحدود النهائية بين سورية وتركيا، ولكن أعمال هذه اللجنة لم تتوصل إلى نتيجة مرضية للطرفين بسبب إصرار الحكومة التركية على الاحتفاظ ببعض المناطق التي تعتبر سورية، بموجب الحدود المبينة في اتفاقية فرانكلين - بويون في عام ١٩٢١.

١- مجموعة النصوص والاتفاقيات المتعلقة بقضايا الحدود بين سوريا وتركيا، مدير الشرطة والأمن العام، ٣ آب ١٩٥٠، ص: ١-٣.

فقامت الحكومتان الفرنسية والتركية بمفاوضات جديدة من أجل تسوية الخلافات القائمة حول الحدود الشمالية السورية. وقام الطرفان بالتوقيع على اتفاقية صداقة وحسن جوار في ٣٠ أيار ١٩٢٦، تم بموجبها تصحيح الحدود بشكل نهائي بين سوريا وتركيا، وتحت ستار هذا التصحيح تنازلت فرنسا عن جزء جديد من الأراضي السورية^١ ويقول جميل كنه:

بأن فرنسا تنازلت لتركيا عن: (جبال الزيتون، ويازيباغ وزعدلين وصلابيا وروم قلعة، التابعة لإعزاز) وغيرها^٢. ولكن رغم هذه التنازلات ظلت تركيا تطالب ببعض القرى السورية التي يقولون عنها بأن سكانها يتكلمون التركية. وفي منطقة جبل الأكراد ظل التوتر قائماً بتدخل الأتراك المباشر وغير المباشر فيها، إذ أن السلطات التركية العسكرية والمدنية المحلية كانت تعبر الحدود المرسومة من دون احترام لها، زد على ذلك، أنها كانت تتقدم بدعواتها على بعض الأراضي السورية المتاخمة لها من الجنوب. وقد أدى التوتر المستمر على الحدود بين الأتراك وبين سكان المنطقة من الأكراد إلى تعقيد العلاقات التركية - الفرنسية، وإلى اتهامات متبادلة بينهما بتحريض الأكراد وإلى تقديم مذكرات دبلوماسية في كل من " أنقره " و " باريس " ^٣.

١ - د. نزار الكيالي، المصدر السابق، ص: ٤٦.

٢ - جميل كنه، نبذة عن مظالم الفرنسيين في الجزيرة والفرات، ص: ٨١.

٣ - أ. س. لازاريف، المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

لم يقاوم الأكراد التحرشات التركية على الحدود فحسب، بل شاركوا الشعب السوري بفعالية كبيرة ضد الاحتلال الفرنسي أيضاً.

ويقول لازاريف بأن عدد الثوار الأكراد في شمال سورية بلغ في آب ١٩٢٣ ألفي مقاتل^١.

كفاح الأكراد في جبل الأكراد ضد الاحتلال الفرنسي:

بعد ترسيم الحدود بين سورية وتركيا وفق اتفاقية "فرانكلين - بويون" لم تهدأ الأوضاع في منطقة جبل الأكراد، بل ظلت الاضطرابات تتصاعد بالارتباط مع نضال الشعب السوري والثورات العربية التي اندلعت في مختلف مناطق البلاد ومدنها، ضد الاحتلال الفرنسي.

فقد دخلت القوات الفرنسية منطقة الجبل من جهتين:

١- دخلت من الجهة الشمالية عقب انسحابها من المناطق الواقعة شمالي خط الحدود المرسومة بين سورية وتركيا وفق اتفاقية فرانكلين - بويون. وجاءت عن طريق "ميدان أكبس" بواسطة القطارات.

٢- أتت من الجهة الشرقية عن طريق حلب - قطمه - راجو بواسطة القطارات أيضاً. ويقال بأن مجموعات منها دخلت المنطقة عن طريق "حمام" قادمة من لواء اسكندرون. وعند دخولها منطقة الجبل اصطدمت بمقاومة شديدة من قبل سكان المنطقة، الذين هبوا لمحاربة الغزاة وألحقوا بهم خسائر جسيمة.

وبصدد ثورة "جبل الأكراد" يكتب لازاريف ما يلي:

^١ - لازاريف، نفس المصدر، ص: ٢٥٣.

فمنذ عام ١٩٢٠ أصبحت المفارز الكردية بقيادة "إبراهيم هنانو" في مركز الثورة الفلاحية التي شملت منطقة شاسعة في شمال غرب سورية تمتد من حلب حتى اسكندرونه^١ وحسب رأي لازاريف، فإن كفاح سكان جبل الأكراد يدخل في إطار ثورة إبراهيم هنانو في الشمال، فقد أعلن إبراهيم هنانو ثورته على الفرنسيين في أواخر عام ١٩١٩. وكان يتلقى الأسلحة والأعتدة من الأتراك بناءً على اتفاق تم بينهم لمحاربة القوات الفرنسية في سورية^٢. إلا أنه اضطر إلى إلقاء السلاح ومغادرة سورية إلى الأردن بعد أن تم التوقيع على اتفاقية فرانكلين- بويون في ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢١. وحول علاقة هنانو مع الأتراك يكتب أحد المجاهدين العرب (جميل إبراهيم باشا) ما يلي:

"كان إبراهيم هنانو قد قام بثورته على الفرنسيين، وعلمت بأن اتفاقاً قد تم بينه وبين الأتراك على إعلان الثورة، وبأن هذه الثورة يمكن الاستفادة منها، على أن خلافاً تشب بينه وبين رفيقه في الجهاد "نجيب عويد" الذي ثارت ثائرته لرؤيته العلم التركي مرفوعاً في معسكر هنانو، وهم بقتله، إلا أن سكان القرية أقنعوه بالعدول عما كان ينويه وأكدوا له، بأن عمل هنانو كان ضرورياً لأن عدداً من الجنود والضباط الأتراك موجودون بين رجاله^٣. ويضيف قائلاً:

^١- م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

^٢- د. نزار الكيالي، المصدر السابق، ص: ٥٥.

^٣- من مذكرات جميل إبراهيم باشا "أحد المجاهدين العرب"، ص: ٣٠.

"مضى وقت طويل وهنانو يقاوم الفرنسيين وينتقل من منطقة إلى منطقة، ولم ير الفرنسيون بداً للخلاص منه، إلا بقطع إمدادات الأتراك عنه، فاتفقوا مع الأتراك في عام ١٩٢١ وقطع الأتراك الإمدادات عن هنانو الذي لم يسعه إلا أن يلجأ إلى الأردن^١.

اجتماع هنانو مع مجاهدين أكراد في جبل الأكراد - عفرين:

أدلى أحد قادة الثورة المعروفة بـ "ثورة المريدين في جبل الأكراد" بحديث لجريدة تشرين السورية وهو المجاهد "رشيد إبراهيم" الملقب بـ "رشيد إيبو"، شرح فيه أحداث عدد من الوقائع التي قام بها المجاهدون الأكراد ضد القوات الفرنسية، وفيما يلي حديثه إلى الجريدة المذكورة:

"منذ الأيام الأولى من إعلان إبراهيم هنانو ثورته على المستعمر الفرنسي، جاء إلى قرية "معراته" وحل في دار "محمد عثمان" وكنت أنا من بين الحضور، وفي هذا اللقاء، ندّد هنانو بالمستعمر الفرنسي وحرصنا على القتال ضده وإخراجه من البلاد. وبعد هذا اللقاء بدأنا بالعمل للجهاد وشكلنا "جبهة" قوئي مللي" أي "قوى الشعب. ووقعت بيننا وبين القوات الفرنسية عدة معارك ألحقنا خلالها بالقوات الفرنسية خسائر فادحة. ومنها:

^١ - من مذكرات جميل إبراهيم باشا، نفس المصدر، ص: ٣٠.
رشيد إيبو هو أحد قادة المريدين الذين قاموا بثورتهم المعروفة بـ "ثورة المريدين في جبل الأكراد" وقد منحه السيد الرئيس حافظ الأسد لقب "مجاهد" بالمرسوم التشريعي رقم ٤٨ / تاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٧٢.

١ - واقعة وادي النشاب:

إذ عندما كانت القوات الفرنسية تتقدم لتدخل منطقة "راجو" الجبلية، عن طريق وادي النشاب، القريب من راجو، بواسطة القطار، تصدى لهم الثوار في الوادي بعد أن قطعوا سكة الحديد وأوقفوا القطار المحمل بالجنود الفرنسيين "السنغال" ثم أنزلوا الجنود من القطار وقتلوا عدداً منهم وأسروا عشرة جنود آخرين، ثم ولوا هارين إلى الجبل بعد أن قصفهم الفرنسيون بمدافع الهاون المنصوبة على "تل كتخ" ورجع القطار إلى محطة "قطمه". وكان يقود الثوار كل من: "سيدو آغا ديكو، أحمد روطو، وحاج حنان آغا شيخ اسماعيل زاده وحسّو كوتو".

٢ - معركة شنكيل:

يقول المجاهد رشيد إيبو: أنه في عام ١٩٢١ تقدمت قوة كبيرة من الفرنسيين قادمة من ميدان أكبس نحو قرية "شنكيل" القريبة من الحدود التركية، فنصبنا لهم كميناً واشتبكنا معهم في معركة كبيرة قتل لهم فيها أكثر من مائة قتيل، وجرح أكثر من هذا العدد. بالرغم من أن عددهم كان أربعة أضعاف عدونا، وقد اشترك في هذه المعركة عدد من قادة الثورة في الجبل منهم: رشيد إيبو، ومصطفى داوود، وحاج حنان آغا، وسيدو آغا ديكو، وأحمد روطو، والشيخ عبدي وغيرهم... وكان يتبعهم عدد كبير من الثوار.

٣ - معركة الوادي الأخضر:

ويتابع رشيد إيبو حديثه قائلاً: وفي نفس العام قمنا بضرب سكة الحديد في منطقة "الوادي الأخضر" الذي يقع بين ميدان أكبس وراجو. وانتظرنا حتى توقف القطار المحمل بالجنود

الفرنسيين القادمين من تركيا، فخرجنا من مخابنا وهاجمناهم وهم داخل القطار، ولا يعرف عدد القتلى أو الجرحى في هذه العملية لأننا انسحبنا بعد الهجوم مباشرة.

وفي عام ١٩٢١ قمنا بمهاجمة قطار آخر في مكان ضيق بين ميدان أكبس وراجو، وقتلنا العديد من ركابه.

٤- ضرب مخفر جسر "هره دره":

ويضيف رشيد إيبو قائلاً: كان لدينا مدفع حصلنا عليه من "كلس"، فقمنا بمهاجمة مخفر للجنود الفرنسيين مقام على جسر "هره دره" لحراسته، بهذا المدفع. وبسبب أهمية الجسر كلن يقوم بحراسته عدد كبير من الجنود الفرنسيين، (ويذكر أن هذا الجسر معلق بين جبلين يبلغ طوله ٢١٠ متراً وارتفاعه ٩٥ متراً)، وفي هجومنا على هذا المخفر، قتلنا من فيه من الجنود وأخذنا سبعة من أفرادهم أسرى، إلا أن هؤلاء الأسرى اغتتموا الفرصة ليلقوا بأنفسهم من أعلى الجسر حيث قضى عليهم جميعاً. وعندما ضاق الجنود الفرنسيين في هذه المنطقة الوعرة بالأمر ذرعاً لجأوا إلى حرق القرى القريبة من سكة الحديد، منها: (قره بابا، وأضماملي، وقرية "شيخ كيلو" الواقعة على طريق قطمه- راجو) .

وهكذا استمرت الاصطدامات والمناوشات بين الثوار في الجبل وبين القوات الفرنسية فترة طويلة. غير أن هذه المناوشات كثيراً ما كانت عفوية ومحلية. ولم تأخذ طابعها التنظيمي إلا بعد عام ١٩٣٠.

ومن الملاحظ، أن أغلب هذه الاصطدامات تقع في المناطق المحاذية للسكة الحديدية، لأن هذه القوات لم تكن تجرؤ على الانتشار في المناطق البعيدة عن السكة.

سياسة فرنسا تجاه المنطقة وسكانها

بعد اتفاقية فرانكلين- بويون بين تركيا وفرنسا عام ١٩٢١ ودخول فرنسا منطقة جبل الأكراد، ومن أجل تهدئة الأوضاع، أصدرت السلطات الفرنسية القرار التالي:

١- العفو العام عن كافة المجاهدين المشتركين في الثورة ضد فرنسا.

٢- الإبقاء على اللغة التركية لغة رسمية في دوائر الدولة في المنطقة لعدم وقوف أهلها على اللغة العربية حين تعلمها.

٣- تشكيل قضاء باسم "كرد طاغ" على أن يعين الموظفون من أهله، بناءً على القرار رقم / ٣٣٩ / وتاريخ ٤ أيلول عام ١٩٢٢ القاضي بتشكيل دولة حلب، وقسم هذا القضاء إلى أربعة نواحي، هي:

١- ناحية الحمام. ٢- ناحية قطمه. ٣- ناحية بلبل. ٤-

ناحية راجو. واتخذ من قرية "ميدانكي" مركزاً للقضاء، ثم نقل هذا المركز إلى قرية "المعبطلي" وأخيراً إلى عفرين^١.

^١ - جميل كنه، نبذه عن المظالم الفرنسية بالجزيرة والفرات، ص: ٤ - ٥.

وقبل هذا التقسيم الإداري للمنطقة، كانت منطقة جبل الأكراد حتى حدود "الريحانية" و"خاصه" المنضمتين الآن إلى تركيا ضمن لواء اسكندرون. كانت تابعة لمدينة "كلس" التركية الآن.

أما من الناحية العسكرية، فقد أقام الفرنسيون مركزاً للجيش على هضبة "شران" كما أقاموا مركز قيادة الجيش العامة في محطة "قطمه" الواقعة على الخط الحديدي ومحاطاً بالأسلاك الشائكة، وكان قسم من الجيش متمركزاً في محطة "راجو" المحاطة كذلك بسياج من الأسلاك الشائكة. وكان لا يسمح للجنود أن ينتقلوا من جهة إلى أخرى، إلا بواسطة القطارات المجهزة بالأسلحة الرشاشة^١. ويذكر أنه حين تمركز الجيش الفرنسي في محطة راجو، ترك سكان القرى المحيطة بالمحطة قراهم ولجأوا إلى القرى البعيدة، خشية من أن ينتقم منهم الفرنسيون. ولم يعودوا إلى قراهم إلا بعد مضي فترة طويلة من الوقت.

ولأول مرة منذ دخول الفرنسيين إلى المنطقة خرجت مفرزة من جنودهم إلى ناحية "بلبل" في عام ١٩٢٣^٢.

ومن أجل تثبيت أقدامهم في المنطقة استعانوا بعدد من الأعوان كان في مقدمتهم حاج رشيد آغا الشيخ اسماعيل زاده الملقب "كور رشيد". وهو من الإقطاعيين المتنفذين في المنطقة آنذاك. وخصصوا لكور رشيد ولسائر أعوانهم رواتب شهرية قدرها (راتب ألف جندي شهرياً لكور رشيد، ومبلغ / ٦٠ / ليرة ذهبية لكل شخص من أعوانهم الآخرين)^٣.

^١ - جميل كنه، نفس المصدر، ص: ٦.

^٢ - جميل كنه، نفس المصدر، ص: ٢٠.

^٣ - جميل كنه، نفس المصدر، ص: ٤.

ورغم الإغراءات الكثيرة التي قدموها لأعوانهم، فإنهم لم ينعموا بالراحة في المنطقة ولم يكن سهلاً عليهم السيطرة على روح المقاومة لدى سكانها. ورغم إصدارهم القرارات المشار إليها لتهدة الأوضاع، فإن سلسلة المعارك والاضطرابات ظلت مستمرة بصورة متقطعة حتى عام ١٩٣٠ الذي تطورت فيه الحركة لتأخذ طابعاً منظماً.

ومن أجل السيطرة على الموقف، لجأ الفرنسيون إلى تشكيل جهاز لجيش خاص من أبناء المنطقة دعي بـ "الميليشيا" أو "المليس" الذين كانوا من المتطوعين من القتلة والمجرمين المحترفين في ارتكاب الجرائم، والذين كانوا يلمون بمعرفة كاملة بأوضاع المنطقة جغرافياً واجتماعياً وبنشاطات سكانها السياسية. وذلك بحكم كونهم من أبناء المنطقة. وقد أطلق الفرنسيون لهم كامل الحرية في اعتقال الناس، وتعذيبهم بل وقتلهم أحياناً بغية النيل من معنوياتهم وقتل روح المقاومة فيهم.

وكان يساق من يستدعي الأمر منهم إلى السجن المنفرد العسكري العام في "قطمه" أو إلى السجن المركزي العسكري في "خان اسطنبول" بحلب.

كان الأمن في المنطقة مفقوداً تماماً بسبب العصابات المسلحة التي كانت تتجول في أنحاء الجبل، بعلم من السلطات الفرنسية، وكان الأهالي من الرجال والنساء يقتنون أسلحة خاصة في دورهم لحماية أنفسهم، وكانت سلطة الحكومة والقوة بأيدي "المليس" أو "التحري" والتراجمة، وبأيدي رئيس استخبارات قضاءي "إعزاز" و"الجبل"، اليوتنان "نوتاري" الفرنسي، وكان تحت إمرة هذا الضابط مائة رجل من المليس يعمل قسم منهم للتجسس

الداخلي والقسم الآخر للخارجي. وكان البعض من هؤلاء يرتدي بذلة عسكرية، والبعض الآخر يلبس ألبسة مدنية. وعدا عن ذلك كان هناك بعض الباعة المتجولين الذين يحتكون بأهالي القرى، ويبيتون عندهم متظاهرين بأنهم تجار، بينما هم في الحقيقة جواسيس ينقلون الأخبار إلى دائرة الاستخبارات.

ومن كان يقطع جبل الأمن في المنطقة عصابة من القتل والمجرمين والمحكومين يقدر عددهم بخمسين شخصا، رئيسها المجرم المشهور "إيبو جندار" يساعده أخوه "حمكه" ورفيقه "سليمان بوشو". وكانت هذه العصابة تغير على المدن والقرى التركية، فيذهب بعضها أو كلها إلى مرعش وعنتاب وجبل بركات وجبال حسن منصور وغيرها تسلب القرى أو تقطع الطرق وتنهب الأموال وتسوق المواشي وتأتي بها إلى سورية لتبيعها بواسطة التراجمة والملييس وأتباعهم في المدن والمراكز ويأخذ منها المستشار "نوتاري" حصة الأسد ثم يوزع الباقي على التراجمة وأفراد العصابة والملييس. وتقابل هذه العصابة عصابات من تركيا، تهاجم القرى السورية وتسلب وترتد إلى تركيا مثلما تفعل عصابة إيبو جندار^١.

وفي الوقت الذي كان يحرض فيه المستشار "نوتاري" العصابات المسلحة لسلب الأموال من تركيا، كان يمعن في ظلمه الشديد على السكان المحليين لترهيبهم وثنيتهم عن النضال ضد الفرنسيين، فكان لا يتردد في قطع رؤوس المجاهدين وتعليقها على الخوازيق المنصوبة في الطرقات العامة على المفارق. فقد فعل ذلك مرة بأن قام بذبح ستة مجاهدين ذبح النعاج عام ١٩٢٣، وعلق رؤوسهم على

^١ - جميل كنه، المصدر السابق، ص: ٨.

خوازيق في مفارق الطرق بين حلب و إعزاز وعفرين. ترهيباً للسكان وإظهاراً للسلطة الغادرة والقوة الفرنسية المستعمرة^١.

وذات مرة وبتحريض من نوتاري لعصابة إيبو جندار على سلب الناس في تركيا، اعترض هذا الأخير طريق قافلة تجار عبارة عن / ٦٠ / بغلاً محملاً بالبضائع المختلفة من الأقمشة ومرسلة إلى "ملاطية"، فقطعوا طريق القافلة وحصلت مصادمة شديدة حيث قتل من محافظي القافلة البعض منهم، وهرب الفريق الباقي تاركين كل شيء للعصابة المغيرة، التي اصطحبت البغال بحمولتها إلى سورية وجبل الأكراد، ثم بيعت الأقمشة وقسم ثمنها نوتاري والعصابة.

وفي تلك الفترة كان الكثير من المجاهدين العرب من جماعة ورفاق المجاهد الكبير إبراهيم هنانو، يقيمون في كيليكيا بجوار عنتاب ومرعش بصفة لاجئين، كان منهم مثلاً:

"المرحوم نجيب عويد، المرحوم عقيل سقاطي، المرحوم مصطفى حاج حسين، المرحوم مصطفى حباش، المرحوم سليم قاورمه، المرحوم عبد القادر حجار، المرحوم محمد فرواتي، طاهر جراب، عبد الوهاب جراب، مصطفى ربحاوي و مصطفى أبو غانم وغيرهم...^٢

وعلى اثر الحادث المذكور، وبناءً على طلب من هؤلاء اللاجئين، وموافقة الحكومة التركية المحلية قاموا بنصب كمين لإيبو جندار وأخيه "حمكه" اللذين كانا مختبئين في قرية "قره طاغ" فقتل كلاهما

^١ - جميل كنه، نفس المصدر ص: ١٩.

^٢ - جميل كنه، نفس المصدر، ص: ٧٥.

في الكمين، وشهر برأس إيبو جندار في عنتاب، وبيره جك، وعدد من المدن الأخرى في المنطقة^١ وعقب هذا الحادث طلبت الحكومة التركية من السلطات الفرنسية رسمياً إبعاد "نوتاري" عن حدودها لمسافة / ٢٠٠ / كيلو متراً، وبناءً على طلب تركيا وبسبب الفضائح الكثيرة التي تورط فيها نوتاري جرى نقله إلى دير الزور، ولكن الضباط الذين أتوا بعده إلى المنطقة خلفاً له، ساروا على خطى سلفهم نوتاري في ظلم الناس وسلب أموالهم بشتى الطرق والوسائل.

^١ - جميل كنه، نفس المصدر، ص: ٧٦.

الوضع الاجتماعي لسكان المنطقة "في المرحلة المدروسة"

١- العلاقات الزراعية، الفلاحون- الآغوات :

كان سكان منطقة "جبل الأكراد" في العشرينات والثلاثينات من القرن مجتمعاً فلاحياً بشكل أساسي، حيث كانوا يعملون في الزراعة من أجل تدبير معيشتهم، غير أن أدوات الإنتاج التي يستعملونها كانت بسيطة وبدائية، مثل: (المحراث الخشبي، وحيوانات الجر كالثيران وغيرها...).

وبسبب كون القسم الكبير في المنطقة جبلياً، فإن الأراضي الصالحة للزراعة فيها كانت ضيقة ومحدودة جداً، بحيث لم تكن العائلة الواحدة تملك أكثر من قطعة أو قطعتين من الأرض الزراعية لا يفي إنتاجها بتأمين حياة أفرادها المعيشية، خاصة لأن الزراعة في المناطق الجبلية غير كثيفة، لذا كان سكانها يقومون بتربية الماشية من ماعز، وأغنام، وأبقار إلى جانب امتهانهم الزراعة كمصدر رئيسي آخر للرزق.

وإلى جانب هذه الطبقات الفلاحية الفقيرة، كانت هناك طبقة الآغوات والإقطاعيين الذين يجمعون في أيديهم معظم الأراضي الزراعية وأخصبها.

ولما كانت الأراضي التي يملكها الفلاح لا تفي بتأمين جميع احتياجاته المعيشية، فكان يضطر إلى العمل في أراضي الآغوات، الإقطاعيين وفق نظام المحاصصة، إلا أنه كان يفتقر مع ذلك إلى المال اللازم لتأمين مستلزمات الزراعة من بذار وثيران وغيرها من المواد الضرورية. فكان يلجأ إلى المالك- الآغا والاستدانة منه من مال ومواد، ولكن بأسعار باهظة، وكان لا يمضي كثير من الوقت حتى

يقع الفلاح تحت عبء ثقل من الديون المتراكمة عليه التي كان يعجز عن وفائها. فيضطر إلى ترك قطعة الأرض التي يملكها للآغا لقاء تلك الديون، ويصبح مجرداً من كل مصدر للرزق فيلجأ إلى الاحتطاب في الجبل وصنع الفم.

هذا في المناطق الجبلية، أما في المناطق السهلية (سهل جومه وحوالي عفرين)، حيث الزراعة فيها كثيفة، فإن عدة عائلات إقطاعية، مثل: (عائلة الكنج، وعائلة حيدر آغا، وعائلة سيدو ميمي وغيرها من العائلات الإقطاعية..) كانت تستولي على جميع الأراضي الزراعية تقريباً، ولا تترك للفلاح منها شيئاً، وكان الفلاحون يضطرون إلى العمل في أراضي الآغوات والإقطاعيين إما بنظام المحاصصة أو كعمال زراعيين، وكان الإقطاعيون يستغلونهم أبشع استغلال ويعاملونهم معاملة العبيد، وكثيراً ما كان الفلاح يتعرض للضرب وشتى الإهانات من قبل الآغا.

وهكذا كان الآغوات والإقطاعيون يمارسون ظلماً اقتصادياً واجتماعياً شديداً على الفلاحين الفقراء مما كان يولد في نفوس هؤلاء شعوراً بالحق والبعضاء على مستغليهم الآغوات والملاكين الكبار، وكانوا يبحثون عن أية وسيلة تتيح لهم رفع الظلم والاستغلال عن كاهلهم.

٢- العشيرة والنظام العشائري:

كانت بقايا النظام العشائري ما زالت قائمة في المنطقة، إلا أن انحلالاً عميقاً كان قد دب في أسس التقاليد العشائرية القديمة. فلم يكن أفراد العشيرة يلتزمون - كما كان في السابق - بما كان يجب عليهم تجاه أبناء عشيرتهم أو تجاه زعمائها، إلا أن الآغوات وملاكي الأراضي الذين كانوا يعتبرون أنفسهم رؤساء

العشائر، كانوا يحاولون بشق الوسائل الإبقاء على ما تبقى من النظام العشائري، بغرض استغلالها لفرض نفوذهم الاجتماعي-السياسي على أفراد العشيرة، وكانوا يطلبون منهم الطاعة باسم العشيرة.

وحول الوضع العشائري في جبل الأكراد في تلك المرحلة يكتب روجيه ليسكو ما يلي:

"إن وجهاء الجبل، ولكونهم ملاكي أراضي، كانوا في حالة صراع دائم على المصالح مع جيرانهم، ولا يمكن مقارنتهم مطلقاً بالإقطاعيين الأكراد من المدرسة القديمة الذين يشعرون بواجبهم تجاه رجالهم بقدر شعورهم بحقوقهم، ولا يستطيع ما يسمى بـ"آغوات كرد طاغ" المراهنة على إخلاص قروبيهم، إذ ليس لهم نفوذ إلا بسبب ثرواتهم، ولا يطاعون إلا على الأرض التي تعود إليهم، أو المحجوزة لصالحهم، فلم يعد تقاسم مناطق النفوذ محترماً، والأطر التي كان يفرضها سابقاً التقسيم العشائري للبلد لم تعد محترمة أيضاً^١

كانت توجد في المنطقة آنذاك خمسة عشائر رئيسية يتصارع على زعامتها عدد من الآغوات:

١- عشيرة "بيان" التي كانت تسمى سابقاً عشيرة "أوقجه عز الدين"، وتتزعمها عائلة الشيخ اسماعيل زاده التي يمثلها "حاج رشيد آغا الملقب كور رشيد".

٢- عشيرة "شيخان" التي كانت تتزعمها عائلة "رش آغا" المقيمة في قرية "كوميث" والتي كان يمثلها "حسين عوني"، وكان في

١- روجيه ليسكو، حركة المريدية في كرد طاغ، ص: ٥٢.

العشيرة عدد من الآغوات الآخرين الذين يمارسون نفوذهم على سكان قريتهم فقط.

٣- عشيرة "آمكان" التي تتزعمها عائلة "سيدو آغا ديكو".

٤- عشيرة "شكاك" وتتزعمها عائلة جلوسي.

٥- عشيرة "جومه"، وفيها عدد من العائلات الإقطاعية ولكن ليس بينها من تطرح نفسها رئيساً للعشيرة.

٦- وهناك عائلة "الغبارية" التي تحكم عدداً من القرى باسم عشيرة الغبارية، وكان يمثلها عارف آغا، كما يوجد عدد من العشائر الصغيرة الأخرى التي ليس لها شأن يذكر في المنطقة، مثل عشيرة "خاستيان" وغيرها...

ولدى النظر في علاقات هذه العشائر بعضها ببعض يذكر بأن عشيرتي بيان وشيخان كانتا في حالة صراع وقتال دائم حتى عام / ١٨٥٠، وفي عهد الفرنسيين في سورية، تحول الصراع بينهما إلى صراع سياسي على زعامة الجبل، وقد تجسد الصراع بينهما في شخصي "كور رشيد" زعيم عشيرة الببيان، و"حسين عوني" زعيم عشيرة الشيخان، إذ كان الأول يعتمد على الفرنسيين، ويعتمد الثاني على الكتلة الوطنية.

ومنذ عهد الفرنسيين حتى العقد السادس من القرن كانت عائلة الشيخ اسماعيل زاده التي يتزعمها كور رشيد تتمتع بنفوذ قوي في المنطقة وتأخذ صفة "إقطاع سياسي" تحكم الجبل. وممن كانت لهم ميول سياسية من آغوات ووجهاء المنطقة، (عائلة الكنج التي هي من أصل تركي، وحاج حنان آغا، الشيخ اسماعيل زاده، وسيدو آغا ديكو، وأحمد روطو، ومراد حمزو وغيرهم..) الذين كانوا يميلون إلى الأتراك، ويتعاطفون مع الحركة الكمالية. أما السواد

الأعظم من أبناء الشعب في المنطقة، فقد كانوا يعادون الاستعمار الفرنسي ويناهضون ظلم الآغوات والإقطاعيين.

٣- التعليم

كان مستوى التعليم بين سكان المنطقة متدنياً جداً، بحيث لا تتجاوز نسبة المتعلمين منهم الواحد في المائة ١% . وكان هذا التعليم الموجود باللغة التركية القديمة.

لم تكن المدارس الحكومية قد دخلت المنطقة في تلك المرحلة، إذ كانت هناك مدرسة ابتدائية واحدة، في مركز القضاء (عفرين)، وفتحت مدرستان أوليتان أخريتان في الثلاثينات، إحداها في مركز ناحية "راجو"، والثانية في ناحية "بلبل"، وما عداها لم تكن هناك أية مدرسة حكومية في المنطقة.

كان يجري تعليم الأولاد القراءة والكتابة وتعليم القرآن، في: "الكتاتيب" كان يفتحها بعض الملالي في القرى، الذين كانوا يسمون "الخوجه" وكان التعليم في هذه الكتاتيب يجري حول الأمور الدينية وباللغة التركية القديمة، علماً أن التعليم كان يقتصر على الأولاد الذكور فقط.

وهكذا يتضح بجلء كم كانت نسبة الجهل عالية في المنطقة!!

٤- الديانة

من المعروف أن الزعماء الدينيين، ولا سيما أصحاب الطرائق الصوفية من المشايخ، كانوا وما زالوا يلعبون في المجتمع الكردي دوراً هاماً، غير أن الأمر في منطقة جبل الأكراد لم يكن كذلك. إذ أن الطرائق الصوفية لم تدخل المنطقة كما في سائر أنحاء كردستان، إلا أن سكان المنطقة كانوا يتمسكون بالدين الإسلامي لحد التصوف.

كان يوجد في قرية "ميدانكي" شيخ يدعى "الشيخ عيسى" يدعو للطريقة "القادرية" وكان يتبعه زهاء مائة مرید. كما كان هناك شيخ من قرية "بابليت" ويدعى الشيخ "عبد الحنان" كان يدعو للطريقة "الرفاعية" غير أن مریدیه كانوا قليلین جداً. وكانت توجد في المنطقة بعض القرى الیزیدية في الجهة الجنوبية-الشرقية من المنطقة، إلا أنهم كانوا يعيشون مع إخوانهم المسلمين في جو يسوده الإخاء والمحبة، مما كان يدل على أن الشعب الكردي بعيد عن التعصب رغم تمسكه الشديد بالدين.

ظهور المريدية في جبل الأكراد

في ضوء الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة "جبل الأكراد" منذ العقد الثاني من القرن العشرين، والمظالم الاجتماعية التي كان يعانيها أهلها على أيدي أغواتها وإقطاعيها، يمكن فهم تلك الأرضية الملائمة جداً لظهور الحركة المريدية فيها.

فوسط أوضاع معقدة ومتناقضة جداً جاء الشيخ إبراهيم خليل، ليقوم بدعوته التبشيرية للطريقة النقشبندية بين سكان الجبل، وكأنه فهم الأوضاع القائمة في هذه المنطقة، ونفسية سكانها جيداً، كما عرف كيف يستغلها لأغراضه بشكل جيد أيضاً.

فقد اختار أن يدخل المنطقة من باب الدين لمعرفة الكاملة بمدى تمسك أهلها بالدين الإسلامي، كما رأى أن يدخل إليها عن طريق نشر تعاليم الطريقة النقشبندية، إدراكاً منه لنجاحه المؤكد على ضوء تجربة مشايخ الطرق الصوفية في كردستان.

كان قد درس واستوعب تعاليم الطريقة النقشبندية على أيدي عدد من المشايخ في حماة وحمص وحلب ومنبج، من أمثال: الشيخ أحمد مراد في حماة، والشيخ خلف الحمصي الملقب "أبي الناصر" شيخ الطريقة النقشبندية في حمص، والشيخ "عبد الباسط أبو النصر" في حلب ومنبج، وهو الذي أوفده إلى جبل الأكراد في أواخر ١٩٢٩، لإرشاد سكانه ونشر الطريقة النقشبندية بينهم.

١- فمن هو الشيخ إبراهيم خليل؟

هناك رأيان متباينان حول أصل الشيخ، ففيما يقول الرأي الأول بأنه تركي الأصل، يقول الرأي الآخر (وهو رأي أنصار وأتباع الشيخ)، بأنه كردي الأصل من أكراد العراق.

يقول روجيه ليسكو • الذي تتبع نشوء وتطور الحركة المريدية في منطقة الجبل أثناء تواجده في سورية آنذاك. بأن:
الاسم الحقيقي لهذا الشخص هو "إبراهيم خليل، سوك أوغلو، من أصل تركي، ولد عام ١٣١٧ / هـ في "بورجا" قضاء "مورسل" قرب "إزميت"، خدم وجرح خلال الحرب العالمية الأولى في الجيش العثماني^١.

بينما يقول أتباع الشيخ، ومنهم "رشيد إيبو" و "موسى شيخو نعان" وهما من الزعماء البارزين في الحركة، بأن الشيخ إبراهيم خليل هو كردي الأصل، عاش جده فترة من الزمن في حماة، ثم انتقل إلى تركيا كموظف، وبأن الشيخ ووالده ولدا في "إزميت"، وكان اسم والده: "حكيم سعيد ابن الشيخ جمال الدين"، تلقى تعليمه المدرسي في مدينة "إزميت"، وعندما أصبح شابا التحق بالجيش التركي عام ١٩٢٥، ومن هناك هرب من الجيش وذهب إلى العراق ثم دخل سورية، وذهب إلى حماة، ثم حمص وحلب ومنبج، ومن هناك جاء إلى جبل الأكراد بناءً على توجيهات الشيخ "أبي النصر". وقد أرسله الشيخ إلى جبل الأكراد، لكونه يجيد اللغة الكردية، وذلك في أواخر عام ١٩٣٩^٢.

• روجيه ليسكو هو كاتب وديبلوماسي فرنسي، عمل في خدمة القوات الفرنسية في سورية أثناء الحرب العالمية الثانية برتبة ضابط، وكان متواجداً في سورية أثناء قيام ثورة المريدين في جبل الأكراد عام ١٩٣٠ - ١٩٤٠، وكان مطلعاً طوعاً وحسناً على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الجبل. فكتب بحثاً عن حركة المريدين بعنوان: "كرد طاغ والحركة المريدية" حيث بذل جهوداً كبيرة في سبيل جمع المعلومات التي ضمنها بحثه وهي ثمينة جداً.

١- روجيه ليسكو "كرد طاغ والحركة المريدية"، ص: ٥٥.

٢- من أقوال "رشيد إيبو" و "موسى شيخو نعان".

ويقول "موسى شيخو نعان" الذي عاش فترة من الزمن عند الشيخ في بلدة "مانيسا" بتركيا، أثناء إقامة الشيخ هناك بعد فشل ثورته في جبل الأكراد، يقول موسى: بأنه لو لم يكن الشيخ كرديا فكيف كان بإمكانه أن يكتب بعض أبيات قصائده باللغة الكردية!!

من هذه الأبيات مثلاً يقول الشيخ:

Em Kurmancin li me gêrbûn tune.

Em û Erebo yekin dudubûn tune.

أي: (نحن أكراد لا نغلب، نحن والعرب واحد لا نفرق)^١.
ولكن كما هو معلوم، أن مدينة "إزميت" - مسقط رأس الشيخ - تقع في أقصى شمال تركيا، وهي مدينة تركية. فهل كان يوجد هناك أكراد كي يكون الشيخ واحداً منهم؟ وفي اعتقادنا أن رأي ليسكو هو أقرب إلى الحقيقة، وبأن ادعاء الشيخ بكونه كردي الأصل ليس سوى تكتيك سياسي لكسب الأنصار لأنه يعمل في منطقة كردية.

٢- مجيء الشيخ إلى جبل الأكراد

جاء الشيخ إبراهيم خليل إلى جبل الأكراد في أواخر عام / ١٩٢٩ / وحل في قرية "بلورسك" قرية فائق آغا الشيخ اسماعيل زاده بعد أن طاف على بعض وجهاء المنطقة وآغواتهم، ومنهم: "حاج حنان آغا" الشيخ اسماعيل زاده، وأقام في قرية "بلورسك" فترة من الوقت ليعلم فيها أبناء الآغوات القرآن وأمور الدين، وحصل بواسطة فائق آغا على هوية شخصية ليتمكن من التجول في المنطقة بحرية.

^١ - من أقوال "رشيد إيبو" و"موسى شيخو نعان".

وهناك لم يطب له المقام، فترك قرية "بلورسك" وذهب إلى قرية "بلاليكو" و"ميدانليات" القريبة من الحدود التركية، حيث اتخذ منها مركزاً لنشاطه ونشر تعاليمه بين الناس.

فقد بدأ بنشر تعاليمه الدينية ابتداءً من عام / ١٩٣٠ / فكان يذهب إلى جامع "النبي هوري" كل يوم الجمعة ليصلي بالناس صلاة الجمعة، ويلقي فيهم مواعظه الدينية ويعلم الناس مبادئ الطريقة النقشبندية، وكان يركز في تعاليمه على ثلاثة جوانب رئيسية:

أ- الجانب الديني:

فكان يحض الناس على التمسك بأركان الدين الإسلامي مشدداً بصورة خاصة على أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، إلى جانب نهيهم عن شرب الخمر، والتعامل بالربا، ولعب القمار والابتعاد عن التدخين وغيرها من الأعمال المنافية للدين الإسلامي. وكان يقيم بالمصلين بعد أداء كل صلاة عقد حلقات الذكر على الطريقة النقشبندية.

ب- الجانب الاجتماعي:

كان يدعو الناس إلى التحابب فيما بين بعضهم البعض، وخاصة بين أتباعه المريدين وكان ينمي في نفوسهم روح المقت والكره للأغوات والإقطاعيين ويحرضهم على الوقوف في وجه مظالمهم.

ج- الجانب الوطني:

كان يحرض مريديه على الجهاد ضد المستعمر الفرنسي وطرده من البلاد.

(ويلاحظ بأن دعواته كانت تتماشى بصورة عامة مع ميول الناس واهتماماتهم في تلك الفترة).

وقد تجاوب الكثير من الناس مع دعواته، وكثر عدد أتباعه ومريديه بسرعة، لاسيما في قرى "بلاليكو" و"ميدانليات" التي تحولت فيما بعد إلى معقل للمريدية ومركز نشاطهم الرئيسي^١.

بداية تنظيم الحركة

وبعد أن كثر عدد أتباع الشيخ ومريدوه المنتشرون في العديد من قرى المنطقة، بدأ بتنظيمهم وإسناد المسؤوليات إلى المخلصين منهم والمطيعين لأوامره. ومن أبرز هؤلاء الأشخاص:

- ١- الشيخ حنيف عرب من قرية "سعرنجك".
 - ٢- الشيخ رشيد إيبو من قرية "بلاليكو".
 - ٣- الشيخ بكر فهمي.
 - ٤- علي غالب الملقب ب(قورت علي) من قرية "سعرنجك".
 - ٥- محمد ملا نعان من قرية "كونده" - ميدانليات -
 - ٦- حسين سمو من قرية "هوليلو".
- وأسند الشيخ إلى هؤلاء الأشخاص مسؤولية قيادة الحركة في "جبل الأكراد" تحت إشرافه المباشر، ووزع عليهم الأعمال حسب كفاءاتهم على النحو التالي:
- أ- الشيخ إبراهيم خليل: مؤسس الحركة، رئيساً ومشرفاً عاماً.
 - ب- الشيخ حنيف عرب، معاوناً للجناح المدني.
 - ج- الشيخ رشيد إيبو، معاوناً للجناح العسكري.

^١ - كل الأقوال الواردة في هذه الصفحة هي للاستاذ خليل رشيد إيبو.

د- الشيخ بكر فهمي، معاوناً لقيادة المجاهدين في لواء
اسكندرون.

ه- علي غالب (قورت علي) ناطقاً رسمياً باسم
المريدين.

و- محمد ملا نعان، مراسلاً بين قيادة المريدين والكتلة
الوطنية.

ز- حسين سمو، اتخذ من داره مركزاً لمؤتمرات
 واجتماعات قيادة المريدين.

ثم عمد الشيخ إلى تعيين الأوائل من المنتسبين للحركة
"رقباء" على من دونهم من الأتباع والمريدين في قراهم، نذكر
منهم:

١- رشيد رسول، في قرية "علمدار".

٢- شيخو سيدو، وشيخو نعان، وحسن داوود، في قرية
"الميدانليات".

٣- حميد إيبو الملقب (حمك إيبو)، وعلوش إيبو، في قرية
"بلاليكو".

٤- يوسف شيخو، وحميد داوود، وحسين بلال، في قرية "حاج
خليل".

٥- إبراهيم بلال علي (خوجه)، في قرية "كوليان تحتاني".

٦- عبدو خليل رشو، في قرية "كوليان فوقاني".

٧- محمد عثمان الذي استضاف الزعيم إبراهيم هنانو، في قرية
"معراته".

٨- علي محمد موسى، مصطفى موسى، ورشيد كركور، في
قرية "جوجللي".

وغيرهم الكثيرون الذين توزعوا على أكثر من خمسين قرية لا يسع المجال لذكر أسمائهم جميعاً. ولمعرفة هوية هؤلاء الأشخاص، ولا سيما القياديين منهم نذكر نبذة عن سيرة أولئك الذين أسند إليهم الشيخ مهمة قيادة الحركة في منطقة الجبل.

١ - الشيخ حنيف عرب:

كان من الأوائل الذين انتسبوا للحركة، وكان متعلماً، وذو منطق مؤثر على سامعيه، سرعان ما ارتقى في الحركة وأصبح معاون الأول للشيخ إبراهيم خليل ورئيس الجناح المدني في الحركة، فعمل واعظاً وتحول في العديد من قرى الجبل لشرح أهداف الحركة للناس، اعتقل في عام ١٩٣٨ بتهمة قتل أحد أفراد الشرطة في مخفر " زيتوناك " وحكم عليه بالإعدام، ثم استبدل الحكم بالمؤبد، وقضى مدة الحكم في سجن "خان استنبول" بجلب، وبقي فيه حتى عام ١٩٤٦ حيث أخرجته من السجن رفاقه المجاهدون أثناء جلاء الفرنسيين عن سورية. وأخيراً اغتاله الآغوات غدراً في عفرين أثناء انتخابات عام ١٩٤٧.

٢ - الشيخ رشيد إيبو:

من قرية "بلاليكو" التي قصفتها الطائرات الفرنسية عام ١٩٣٨، اشترك في العديد من المعارك التي دارت بين المجاهدين والقوات الفرنسية. وكان من أوائل المنضمين إلى الحركة والمخلصين للشيخ إبراهيم خليل، فعينه الشيخ معاوناً له ورئيساً للجناح العسكري في الحركة.

وفي عام ١٩٣٨، بعد نفي الشيخ إبراهيم خليل إلى تركيا، واعتقال الشيخ حنيف عرب، أصبح زعيم المريدين بلا منازع. وهو الآن ما زال حياً يرزق.

٣- بكر فهمي:

كان ضابطاً في الجيش التركي برتبة ملازم ثاني، وسرح من الجيش لميوله الدينية، وقد عينه الشيخ إبراهيم خليل معاوناً له وقائداً لمجموعة المريدين الذين يعملون في لواء اسكندرون قبل إلحاقه باللواء. وقتل بيد المريدين في ظروف غامضة.

٤- علي غالب:

وهو الملقب (قورت علي) أي علي الذئب، وكان أحد قادة المريدين بعد الشيخ حنيف عرب ورشيد إيبو وبكر فهمي، وكان معتاداً بنفسه محباً للظهور، كما كان ديبلوماسياً ويجيد شيئاً من اللغة الفرنسية، عينه الشيخ ناطقاً رسمياً باسم المريدين. وهو الذي قال لأحد قادة الفرنسيين أثناء لقاء جرى بينه وبين رشيد إيبو:

"إن القرار بيد أولئك المتمترسين وراء الصخور، وهم لا يرضون بأقل من خروجكم من أرض وطننا".
قتل هو الآخر بيد الفرنسيين لأسباب مجهولة.

٥- محمد ملا نعيان:

من قرية "كاوند" - ميدانليات - وهو من آل سيراوا، عينه الشيخ معاوناً له، وأوكل إليه القيام بمهمة مراسل بين قيادة المريدين، وبين الكتلة الوطنية في حلب.
(سعد الله الجابري، والحاج فاتح المرعشلي، والحاج عبدو المصري، وأبونا حسن بك قاطر آغه سي).

من قرية "هوليللو"، عينه الشيخ في قيادة الحركة لاتخاذ داره مركزاً لمؤتمرات واجتماعات قيادة المريدين.

وعلاوة على هؤلاء الأشخاص الذين عينهم الشيخ إبراهيم خليل ليتولوا قيادة الحركة في الجبل، كان هناك أشخاص آخرون يأتون في المرتبة الثانية، عينهم الشيخ "رقباء" على من دوفهم من المريدين في قراهم، فلعبوا دوراً كبيراً في الدعاية للحركة وتطويرها. وفيما يلي أسماء البعض منهم ونبذة قصيرة عن سيرتهم:

١- موسى شيخو نغسان: من أهالي

"ميدانليات" وأحد قادة المريدين، سافر إلى تركيا وهو لا يزال صغيراً، ومكث عند الشيخ إبراهيم خليل في بلدة "مانيسا" رداً من الزمن، حيث تلقى على يديه تعاليمه الدينية، وبعد عودته إلى جبل الأكراد أصبح هو ورشيد إيبو زعيمين للحركة المريدية في أوائل الخمسينات، وبعد أن قتل الشيخ إبراهيم خليل في "مانيسا" تزوج موسى من إحدى زوجاته.

٢- محمد عبدو (خوجه): من قرية "قورت

أوشاغي"، وكان متعلماً وملسناً، دخل الحركة المريدية متأخراً لذا فهو يعتبر من الرعيل الثاني في الحركة، وبفضل علمه وتأثيره على الناس تقدم في الحركة بسرعة وأصبح معاوناً للشيخ رشيد إيبو بعد مقتل

الشيخ حنيف عام ١٩٤٨، وبقي محتفظاً بمركزه القيادي في الحركة، حتى مجيء موسى شيخو عام ١٩٥١، الذي حل مكانه.

٣- حميد إيبو الملقب (حمك إيبو): من قرية "بلاليكو"، وشقيق رشيد إيبو، وكان يعتبر اليد اليمنى لأخيه رشيد، خاض إلى جانب أخيه الكثير من المعارك ضد الفرنسيين، وقد لقبه الشيخ إبراهيم خليل بـ "أركان حرب" وذلك لشدة بأسه وطاعته لأوامر الشيخ. وقبيل جلاء الفرنسيين عن سورية قتل برصاص الجنود الأتراك عند اجتيازه الحدود مع بعض رفاقه.

٤- رشيد رسول: من قرية "علمدار"، كان تلقى تعليمه

المدرسي في لواء اسكندرون بإنطاكية، ولأهمية علمه وعظم شأنه عند الشيخ إبراهيم خليل، فقد قصده الشيخ بنفسه وحل ضيفاً عليه، وكان متحمساً للحركة ومندفعاً للقتال ضد الفرنسيين وأعوانهم الآغوات.

كان ثورياً لكنه طوباوي، فكر بأن يقوم بثورة في الجبل عام ١٩٣٥، وفكر بأن يقوم بقتل المستشار الفرنسي في "إعزاز"

كالشرارة الأولى للثورة، وفي طريقه إلى
إعزاز لتنفيذ الخطة اصطدم في الطريق بمفرزة
للجنود الفرنسيين "المليس" واشتبك معهم
بالسلاح وكان يرافقه آنذاك عشرون
شخصاً آخر، وقتل في هذا الاشتباك أحد
أفراد الميليس وجرح آخر، ثم هرب إلى
الجليل.

وعلى أثر هذا الحادث داهمت قوة كبيرة من الفرنسيين قرية
علمدار وأشاعوا فيها الإرهاب والتعذيب مهددين بحرق القرية إذا
لم يسلم رشيد نفسه إليهم.

وحيال هذا الضغط الشديد لم ير رشيد بداً من تسليم نفسه إليهم
حيث اقتادوه مع أربعة أشخاص من رفاقه إلى سجن خان
اسطنبول بحلب، ثم نقلوهم إلى سجن الرملة ببيروت حيث أعدم
هناك رمياً بالرصاص، أما رفاقه الأربعة فقد قتل اثنان منهم تحت
التعذيب وأفرج عن الآخرين بعد عدة سنوات.

وبالإضافة إلى هؤلاء وغيرهم الكثيرون ممن لا يتسع المجال لذكر
أسمائهم جميعاً، كانت هناك مجموعة منهم تعمل في لواء
اسكندرون تحت إمرة "بكر فهمي" من عام ١٩٣٠ - ١٩٣٨،
وكان من أبرز عناصر المجموعة: (محمد كوتو، شيخموس حمدينو،
بلال زبير، أحمد حسكي، عكاش حسين ككج، وجالق موسى،..
(وغيرهم من العناصر الذين كانوا يوالون لبكر فهمي شخصياً
علاوة على موالاتهم الوظيفية^١.

^١ - الأسماء جميعها من عند خليل رشيد إيبو.

وتبين من خلال الأحداث التي تعاقبت فيما بعد، أن هذه العناصر وغيرها ممن انضموا إلى الحركة لعبوا دوراً هاماً في تطوير الحركة وإنجاحها، وانتشروا بشكل خاص في المنطقة الشمالية من إقليم الجبل، وفي القرى المسكونة بالفلاحين الفقراء والملاكين الصغار، أما في المناطق الجنوبية من الجبل، فقد لقيت الحركة نجاحاً أقل رغم أن الأرضية كانت مهياة لها بشكل أفضل، وذلك لأن العائلات الكبيرة من ملاكي الأراضي التي كانت تحكم أساساً في المنطقة كانت قوية بشكل كاف لكبح كل نشاط للمريدين، ولكن مع ذلك فقد تمكنت الحركة من كسب أتباع لها في أغلب القرى وفي أوساط الطبقات الأكثر حرماناً^١.

لقد تقدمت الحركة واتسعت بشكل سريع بين أوساط الجماهير الفقيرة بمساندتها المطالبين الاجتماعية للفلاحين، إذ عرف الشيخ إبراهيم خليل الاستفادة بكفاءة من حقد الفلاحين على الآغوات والملاكين الكبار، فقد كان الفلاحون الفقراء أو المجردون من أراضيهم المشتمزون من الاستمرار في حياة البؤس هم الذين يشكلون الأغلبية في تشكيلات المريدين^٢.

المريدون والآغوات

لم تكن علاقات المريدين مع الآغوات متوترة كثيراً في بدايات تنظيم الحركة، فلم يكونوا يرفضون المساعدة المقدمة إليهم من بعض الوجهاء والآغوات، وكانت علاقات الشيخ إبراهيم مع بعض الآغوات مثل (حاج حنان آغا شيخ اسماعيل زاده) جيدة.

^١- روجيه ليسكو، كرد طاغ والحركة المريدية، ص: ٥٩.

^٢- روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٥٨.

وكان كل طرف منهما يريد استخدام الطرف الآخر في تحقيق مصالحه الخاصة.

فقد استقبل أفراد عائلة الشيخ اسماعيل زاده الشيخ إبراهيم خليل بحفاوة معتقدين بأنه سيناصرهم وأنهم سيستغلون نفوذه لمصلحتهم، ولكن خاب أملهم في ذلك، لأن الشيخ ما إن شكل جماعة هامة من الأتباع حوله، حتى انقلب على أولئك الآغوات، وسعى إلى الحصول على مناصرة الطبقات الفقيرة التي وجد فيها تحقيقاً لمصلحته.

وفي بعض المناسبات كان إبراهيم خليل يبادر بالخطوة الأولى للاتفاق مع هذا الآغا أو ذاك ولكن هذه الاتفاقات كانت دوماً قصيرة الأجل، ومجردة من أي إخلاص من كلا الطرفين، ولم يكن للمريدين هدف عند قبولها سوى إذكاء نار الانقسام الذي كان موجوداً بالأصل في معسكر الآغوات^١.

لم يكن الآغوات يأخذون في الحسبان التهديد الذي كان يشكله لهم المريدون، فبدلاً من محاربتهم في البداية حاول العديد منهم كسب الزعماء المرموقين من المريدين لاستغلال نفوذهم في تحقيق مصالحهم الذاتية. ففي عام ١٩٣٦ وأثناء الانتخابات كان في المنطقة مرشحان "كور رشيد" و"حسين عوني"، وكان الأول منهما يعتمد على الفرنسيين، والثاني على الكتلة الوطنية، وذهب كلاهما إلى مقر "الشيخ حنيف" خليفة الشيخ إبراهيم خليل لنيل دعمه، فحصل الثاني على مآله وانتخب نائباً عن جبل الأكراد في البرلمان السوري بفضل المريدين وأصواتهم، جزئياً على الأقل، وبقي حسين عوني على أثر هذا الحادث على صلة جيدة مع

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٥٩.

المريدين في صراعه مع كور رشيد حتى عام ١٩٣٨، الذي قاطعهم فيه.

كانت مشاعر الحقد والعداوة ضد الآغوات تزداد وتتصاعد يوماً فيوماً لدى المريدين، وفي نهاية عام ١٩٣٦، بدأ الآغوات يشعرون بالمقابل بضرورة توحيد صفوفهم للدفاع عن أنفسهم بشكل أفضل، ف عقدوا العديد من الاجتماعات، وتباحثوا في الأمر ملياً، إلا أن أنانيا تهم الشخصية، والخلافات القديمة كانت تقسمهم وتحول دون اتفاقهم وظل كل منهم على موقفه في حماية نفسه وأراضيه، والانتقام من ضحاياه دون أن يأمل أي مساعدة من جيرانه أو حتى من أقربائه^١.

كانت هذه الانقسامات في صفوف الآغوات تساعد إلى حد كبير على النجاحات التي حققها المريدون.

كان آغوات عائلة الشيخ اسماعيل زاده (كور رشيد، شيخو آغا، فائق آغا، الخ....) يعملون لبسط نفوذهم على منطقة الجبل كلها. بمن فيه من آغواته الآخرين، وإزاء هذا الأمر، أعلن عدد غير قليل من هؤلاء الآغوات استعدادهم للتصالح مع إبراهيم خليل لمواجهة عائلة الشيخ اسماعيل، وقد استمرت هذه المواقف بين آغوات الجبل حتى بعد زوال حركة المريدين. فقد كانوا يفشلون في توحيد صفوفهم كل مرة بفعل الأنانية الشخصية ونار الحسد بينهم.

^١ - روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص: ٦١.

نشاطات الشيخ إبراهيم خليل عام ١٩٣٠

رغم أن الشيخ إبراهيم خليل كان يذهب كل يوم جمعة إلى جامع "النبي هوري" لأداء صلاة الجمعة مع مريديه، ولإلقاء مواعظه وتعاليمه فيهم، فإنه اتخذ من قرية "بلاليكو" المحصنة طبيعياً مقراً دائماً له، وكان يسعى إلى تحقيق سيطرته التامة على قرى "الميدانليات" أيضاً.

وذلك لاستراتيجية موقعها وقربها من الحدود التركية. وبعد أن تمكن من تحقيق ذلك، اتخذ منها ومن قرية "بلاليكو" مركزاً نموذجياً لنشاطاته. ويعرف عن قرى "ميدانليات" كونها تتألف من سبعة قرى متجاورة ومتسلسلة على سفح جبل يوازي جبال وعرة بالمقابل تدعى جبال "قره بيل" وبينهما سهل ضيق اتخذ منه المريدون مكاناً لإجراء تمريناتهم العسكرية والتدرب على السلاح، ويشرف الجبل من الناحية الشمالية على حدود تركيا وقرى "بنديرك" و"شنكيل" و"ميدان أكبس" يسهلها الضيق الذي يضم الحمام الروماني القديم وبعض الآثار القديمة على حد قول "جهيل كنه".

كان يوجد في سهل ميدانليات وفي الجهة المقابلة للقرى المتجاورة "جامع" يؤمه المريدون كل يوم جمعة، فيصلي فيهم "الشيخ حنيف عرب" مساعد الشيخ إبراهيم خليل للجناح المدني للمريدين. ومن الجدير بالذكر أن قرى بلاليكو، وميدانليات، وبنديرك، وشنكيل، وميدان أكبس وغيرها.... تابعة كلها لعشيرة "الشيخان".

وبهذه الصورة ضمن الشيخ إبراهيم خليل عدداً كبيراً من الأتباع والمريدين خلال مدة قصيرة نسبياً، وبعد أن تأمن له ذلك، بدأ

بنقل العمل الديني إلى الدرجة الثانية من اهتمامه. ووضع العمل السياسي في المقام الأول منه، فبدأ بإثارة أعمال متفرقة تتعلق بشؤون الناس ومشاكلهم، فبدأ يقاضي الناس ويفرض على الأغنياء منهم غرامات وشراء أسلحة لأتباعه الفقراء، وفرض بصرامة إلغاء المهر في الزواج، ومنع منعاً باتاً شرب المسكرات والتدخين، وكلف "شيخو علي جار" الملقب "عجك" بمهمة إتلاف مزروعات التبغ التي كانت منتشرة آنذاك في قرى الجبل، وكان هدفه من وراء ذلك، منع الناس من التدخين من جهة، وقطع إمدادات التبغ عن مؤسسة "الريجي" التابعة للفرنسيين من جهة ثانية.

وهنا لم تمر نشاطات الشيخ دون إقلاق للفرنسيين، الذين بادروا إلى إبعاده عن سورية إلى تركيا عام ١٩٣٠، وانتقلت مهمة متابعة العمل بعد رحيله إلى تلك القيادة التي كان قد شكلها في بدايات عمله لتنظيم الحركة، بزعامه "الشيخ حنيف عرب".

وكما ذكرنا سابقاً، كانت القيادة التي شكلها الشيخ إبراهيم خليل، في أوائل بدايات عمله التنظيمي للحركة، مؤلفة من: (الشيخ حنيف عرب، الشيخ رشيد إيوب، الشيخ بكر فهمي، علي غالب - قورت علي - محمد نعلسان وحسين سمو) وكانوا جميعهم من الأوائل الذين انتسبوا للحركة.

ومنذ ترحيل الشيخ إبراهيم عن سورية، بدأ الجانب السياسي للحركة يطغى على جانبها الديني ولكن من دون التخلي عن الجانب الديني كلياً طبعاً.

الجانب السياسي للحركة

لقد تبين أن الجانب الديني والاجتماعي لحركة المريدين كان واضحاً بشكل كاف، غير أن سماتها السياسية كانت أقل وضوحاً ولا زال الجدل يدور حولها حتى الآن.

فقد عرف الشيخ إبراهيم خليل أن يجمع بين يديه خيوط شبكة معقدة جداً، إذ ضمن بنجاح وغالباً في نفس الوقت، دعم قسم من أغوات المنطقة، ودعم الكتلة الوطنية، ودعم الأتراك بسهولة كبيرة، ووسط هذه المسرحية المعقدة، تمكن في كل مرة من مخادعة شركائه الذين كانوا يعتقدون بأنهم أكبر كفاءة منه^١.. ولكن كيف تمكن من ذلك؟

من أجل فهم المسألة لا بد من دراسة الحركة في إطار السياسة المحلية للجبل، وفي علاقاتها مع الكتلة الوطنية، والفرنسيين والأتراك في آن معاً.

لقد أوضحنا شيئاً من السياسة المحلية للمريدين وعلاقاتهم مع الأغوات، تلك الطبقة المتنفذة في المنطقة، وبقي أن ننظر في علاقاتهم مع الكتلة الوطنية في تلك المرحلة من تاريخ سورية. وقبل أن نبحث في هذه المسألة، لا بد أن نتبع رحيل الشيخ إبراهيم خليل إلى تركيا فنرى ماذا حل به.

عند وصول الشيخ إلى تركيا، ألقت السلطات التركية القبض عليه في ٤ كانون الأول عام ١٩٣٥ بناءً على تقرير من قائد الشرطة "نيازي أوز ألب" الذي كان يعادي الشيخ، يتهمه فيه (بتشكيل طائفة والقيام بنشاط نقشبندي في قضاء "إصلاحية" بتركيا منذ عام ١٩٣٠) - ويعرف عن قضاء "إصلاحية" أن القرى المحيطة

^١ - روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص: ٦٠.

بالبلد جميع سكانها أكراد - وبناءً على هذا التقرير، فرضت على الشيخ الإقامة الجبرية في "بيره جك"، ويقول رشيد إيبو بأنه (أي الشيخ) أودع السجن في عنتاب فترة من الوقت أيضاً. لكن لم يلبث أن انتهت الدعوى ببراءته ورفعت الإقامة الجبرية عنه. ويستنتج من حيثيات الحكم بأن الشيخ استطاع تبرئة نفسه بفضل تدخل الأمن العام التركي في أنقرة، بموجب رسالة سرية تحت رقم / ٢٩٤٠٢ / من الأمن العام التركي إلى محكمة "بيره جك" مؤرخة في ١٤ حزيران ١٩٣٩ ومذكورة في محضر جلسة الحكم الصادر عن هذه المحكمة لصالح الشيخ في ١٤ / ٣ / ١٩٤٠. وقد ضبطت هذه الوثيقة عند "أحمد صيداوي" في حلب، أحد أصدقاء الشيخ إبراهيم خليل تم تفتيش داره بالصدفة في حزيران ١٩٤٠^١.

وبعد رفع الإقامة الجبرية عنه، توجه إلى مدينة "إزميت" ومكث فيها حتى عام ١٩٣٨، الذي عاد فيه إلى سورية مرة ثانية. ويقول رشيد إيبو بأنه وضع في "إزميت" تحت الإقامة الجبرية أيضاً.

آ- علاقات المريدين مع الكتلة الوطنية:

بدأت العلاقات بين المريدين وبين الكتلة الوطنية في حلب، عام / ١٩٣٦ / الذي كانت تعيش فيه سورية عزّ الهيجان السياسي، إذ عندما تعثرت المفاوضات بين الكتلة الوطنية وبين فرنسا بصدد استقلال سورية، خطر لقيادة الكتلة الوطنية في حلب إثارة

^١- روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٤ و ٧٩. يؤكد عليه أحمد جعفر أغا (زمجي).
• يلاحظ وجود تناقض في تواريخ الوثيقة.

الاضطرابات في جبل الأكراد بالتحالف مع زعماء المريدين، كوسيلة من وسائل الضغط على فرنسا للقبول باستقبال الوفد السوري في باريس. وكانت السلطات الفرنسية على علم بما يجري بين الكتلة الوطنية والمريدين، ومن أجل إجهاض الخطة، طلبت السلطات الفرنسية من قيادة الكتلة الوطنية بأن يسلم زعماء المريدين أنفسهم لتلك السلطات، كدليل على حسن النوايا من جانب الكتلة، وبناءً على هذا الطلب، قام كل من رشيد إيبو وشقيقه حمك إيبو، وعديله مصطفى محمد، وعمر مسلم الملقب ب(تراج) بتسليم أنفسهم إلى السلطات الفرنسية حيث وضعوا تحت الإقامة الجبرية في دمشق لمدة ستة أشهر، ثم في السجن لمدة بضعة أشهر أخرى، ثم نقلوا إلى حلب ليوضعوا تحت الإقامة الجبرية أيضاً، ومن هناك تمكن جميعهم من الهرب إلى الجبل بمساعدة أحد رجالات الشيخ "أبو ناصر خلف"^١.

وعندما سقطت الحجة من أيدي الفرنسيين بتسليم زعماء المريدين أنفسهم إليهم، سمحوا للوفد السوري عندئذ بالذهاب إلى باريس لإجراء المفاوضات مع السلطات العليا الفرنسية، وهناك توصل الوفد مع تلك السلطات إلى عقد اتفاقية تقضي بتعهد فرنسا بمغادرة سورية بمضي ثلاث سنوات والاعتراف بالسيادة السورية، وعودة الحياة البرلمانية، الخ...

وعند عودة الوفد السوري من باريس بواسطة قطار الشرق السريع: قام الرجال المسلحون التابعين للمريدين بحراسة جميع

^١ - من أقوال الأستاذ خليل رشيد إيبو على لسان والده رشيد إيبو.

محطات القطار داخل منطقة جبل الأكراد ضماناً لوصول الوفد إلى حلب بسلام^١.

وفي أيلول عام ١٩٣٦ نظم أحد زعماء المريدين (علي غالب) استقبالا حماسياً للبعثة السورية العائدة من فرنسا في عفرين، وأقسم رسمياً على الإخلاص للمسألة القومية، وذلك بحضور مرافقيه البالغ عددهم من / ٢٠٠ - ٣٠٠ / نصيراً^٢.

وبالمناسبة يذكر، بأن قيادة الكتلة الوطنية في حلب كانت تتألف من: (سعد الله الجابري، الحاج فاتح مرعشلي، الحاج عبدو المصري وحسن بك قاطر آغه سي)، ويقول أحمد جعفر (زنجي) بأن "خالص الجابري" كان الرأس المدبر للكتلة، حيث كان يقوم بمهمة تنفيذ أوامر سعد الله الجابري، أما من جانب المريدين فقد كان الشخص الذي يقوم بمهمة مراسل بينهم وبين الكتلة هو: "محمد ملا نعيان" الذي كان الشيخ إبراهيم خليل أسند إليه هذه المهمة.

وفي أعقاب هذا التعاون الوثيق بين الكتلة الوطنية وبين المريدين، بدأت الحكومة الوطنية السورية بإغداق المريدين بحفاوتها، وبتزويدهم بالمعونات. وكانت توصي رجال الشرطة بعدم التعرض لهم أو إزعاجهم، وخلال فترة طويلة نسبياً، كان المريدون يستعملون أجهزة هاتف المخافر في اتصالاتهم^٣.

^١ - من أقوال الأستاذ خليل رشيد إيبو على لسان والده.

^٢ - روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص: ٦٢.

^٣ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٢.

ب- علاقات المريدين مع الأتراك:

يروج خصوم المريدين منذ نشوء الحركة المريدية في جبل الأكراد حتى الآن، مزاعم بتورط الشيخ إبراهيم خليل في إقامة علاقات تعاون سياسية مع الأجهزة السرية التركية لتحقيق مآرب تركيا في منطقة جبل الأكراد.

ولا شك أن هذه التهمة تعتبر خطيرة جداً بالنسبة إلى المريدين الذين يدعون حتى الآن بأن حركتهم كانت وطنية وديمقراطية، ضد الاستعمار الفرنسي وضد الآغوات والإقطاعيين.

وهم ينفون بشدة وجود أي علاقة لهم بالأتراك، وأن التهمة الموجهة إلى الشيخ إبراهيم خليل لا تعدو عن كونها دعاية مغرضة من جانب خصومهم يراد منها النيل من سمعتهم، وتشويه حركتهم الوطنية والديمقراطية.

وبما أننا لا نملك مصدراً مستقلاً ومحايداً كي نستدل به لإجلاء الحقيقة، فنترك للقارئ الكريم أن يحكم بنفسه على حقيقة المسألة من خلال ما يرويه خصوم المريدين وما يقوله المريدون عن المسألة. يكتب الكاتب الفرنسي روجيه ليسكو في كتابه "كرداغ والحركة المريدية" ما يلي:

"إن منطقة جبل الأكراد التي تمر عبرها القطارات الموجهة إلى "الموصل" تشكل مصلحة رئيسية للأتراك، وإن المريدية قدّموا الفرصة للتدخل فيها".^١

وفي تعقيبها على هذا القول تكتب "بلسم كامل" مترجمة كتاب ليسكو ما يلي:

^١ - روجيه ليسكو ، المصدر السابق، ص: ٦٢.

" المقصود هنا، أن مقاومة المريدين للسلطات الفرنسية وعملائها، خلقت حالة عدم استقرار في المنطقة جعلت الأتراك يخشون امتداد الحركة إلى داخل الحدود التركية، مما دفع تركيا إلى الاهتمام بالوضع في "كرداغ"، وبذلك تكون المريدية في نظر الكاتب سبباً في التدخل التركي، في حين أنه يتناسى بأن الحدود التركية- السورية، قد رسمت بشكل اعتباطي، وفرضت على المنطقة بموجب الاتفاقية الفرنسية- التركية المنعقدة في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١ كان لها دوراً كبيراً في عدم احترامها من قبل السكان^١.

وفي اعتقادنا أن منطقة جبل الأكراد، كانت تحتل مركز اهتمام الأوساط التركية من الناحية الجغرافية أيضاً، فهي منطقة جبلية تتصل بلواء إسكندرون من جهة وتشرف على مدينة حلب وسهول "مرج دابق" و"إعزاز" مباشرة، وتمتد حتى تتصل بسهول "كلس" من جهة أخرى.

ويضيف روجيه ليسكو قائلاً:

" في البداية لم يمر نشاط إبراهيم خليل دون إقلاقهم (ويقصد الأتراك، ر. ح)، فخلال فترة ما بين / ١٩٣٠ - ١٩٣٥ / اتخذوا الإجراءات اللازمة لمنع الشيخ من كسب الأتباع في قضاء "إصلاحيه"، ولكن يبدو أن جيراننا فهموا سريعاً بأن الاتفاق مع إبراهيم خليل سيشكل لهم مزية مضاعفة، ضمان السلم في إقليمهم، والسماح لهم بتحريض الاضطرابات في سورية كلما رأوا ذلك مفيداً^٢.

ويتابع بقوله:

^١ - بلسم كامل، ثورة جبل الأكراد، ص: ٧٨.

^٢ - روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص: ٦٣.

"رغم أن تاريخ انخراط الشيخ في الأجهزة السرية التركية غير معروف بدقة، إلا أنه مع ذلك، يمكن الاعتبار، بأن ذلك التاريخ يعود على الأقل إلى حزيران / ١٩٣٥ . ففي هذا العام كان قد وضع تحت الإقامة الجبرية في "بيره جك" وفي العام اللاحق أثناء الانتخابات (ويقصد الانتخابات التي جرت في لواء اسكندرون عند ضمه إلى تركيا. ر. ح)، كلف بمهمة في السنجق^١ . وحول هذه المسألة يقول خليل رشيد إيبو ما يلي:

"إن الشيخ أفندي أوقف في تركيا في تموز ١٩٣٠، وسجن في عنتاب لمدة / ١٤ / شهراً، ثم أطلق سراحه ونفي إلى "إزميت" حيث بقي تحت الإقامة الجبرية لمدة سبع سنوات، وحضر في آخر ١٩٣٧ إلى سورية، واجتمع مع زعماء الكتلة الوطنية في حلب (بقسطل الحرامي)، ثم ذهب إلى لواء اسكندرون ليشترك في عملية الاستفتاء .

(ويلاحظ أن هذا القول يتطابق مع ما يقوله ليسكو بتكليف الشيخ للذهاب إلى لواء اسكندرون أثناء عملية الاستفتاء) . وفيما يتعلق بنشاط المريدين في لواء اسكندرون كنا أشرنا إلى أن مجموعة منهم كانوا يعملون في اللواء بقيادة "بكر فهمي" منذ بداية تنظيم الحركة المريدية في جبل الأكراد.

ويريد الكاتب الفرنسي ليسكو أن يؤكد على وجود أطماع للأتراك في جبل الأكراد فكانوا يحاولون خلق عملاء لهم في المنطقة ليستخدموهم في العمل من أجل ضمه إلى تركيا . فيكتب قائلاً:

^١ - روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص: ٦٤ .

"وسواءً كان الأتراك راغبين في إحداث جو من الاضطرابات في كرداغ، أم كانوا قد رأوا من المفيد اللعب على الحبلين، فإنهم لم يكتفوا بمساعدة المريدين بل سعوا أيضاً لخلق عملاء بين الطرف الخصم. إذ تفاوضوا لعدة مرات مع الآغوات. ففي عام ١٩٣٦ كلفوا "حسين عوني" الذي أصبح من مواطنيهم بعد إلحاق السنجق باسكندرون، أن يقود حملة بين وجهاء المنطقة بقصد ضم كرد طاغ إلى تركيا، ويمكن أن يبدو عجيباً بأنه رغم مساعدتهم العلنية لإبراهيم خليل، استطاع الأتراك إيجاد أنصار لهم بين أعداء هذا الأخير^١.

وإذا جاز لنا أن نشك في أقوال هذا الكاتب المنتمي إلى الطرف الخصم للمريدين المستعمر الفرنسي، إلا أن الحادث الذي سنورده لا يدع مجالاً للشك في وجود أطماع لتركيا في المنطقة. إذ يكتب "طيفور سوكمين" الذي أصبح رئيس دولة "هاتاي" بعد سلخ لواء اسكندرون عن سورية ما يلي:

"في عام ١٩٣٧ وبينما كنت أعمل في جمعية (أركينليك) في كيليكيا، جهزنا برانيط وأرسلناها إلى "هاتاي" و"سورية" لكي يلبسها الموالون لتركيا من الأهالي. إلا أن الفرنسيين ألقوا القبض على هؤلاء في كرد طاغ وألقوا بهم في السجن. وفي السجن نظم هؤلاء الأشخاص عريضة وقالوا للفرنسيين: "إن الفرنسيين أيضاً يلبسون البرانيط فلماذا تمنعون لبسها هنا. فقال لهم الفرنسيون: لأن هذا دلالة موالة لتركيا ولذلك نمنعكم عن لبسها هنا"^٢.

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٥٣.

^٢ Teyfur Sökmen, doğumunun ١٠٠ üncü yılında, Sf ٦٢.

ويعرف عن قصة البرانيط هذه في منطقة الجبل، أن الأتراك أرسلوا حوالي عشرة آلاف برنيطة إلى حاج حنان آغا شيخ اسماعيل زاده. وعدداً مماثلاً له إلى سيدو آغا ديكو. وعندما علم الفرنسيون بالأمر ألقوا القبض على "حسن آغا سيدو ديكو" أما حاج حنان آغا فادعى بأن كور رشيد قام بحرق جميع البرانيط المرسلة إليه في قرية "بلبل".

وعن قصة هذه البرانيط يقول أحمد آغا (زنجي) بأنها أرسلت فعلاً إلى حاج حنان آغا الذي يرتبط مع الأتراك بصداقة متينة، وكان كل من "مراد حمزو" من قرية "مشعلة" و "قوج آغا" المقيم حوالي "إصلاحية" كانا يقومان بدور صلة الوصل بين حاج حنان آغا والأتراك.

غير أن حاج حنان آغا رفض لبس البرانيط وتوزيعها على الناس، لكونها منافية للتقاليد الإسلامية في نظره، وبأن "كور رشيد" قام بحرقها في قرية "بلبل".

أما الكمية المرسلة منها إلى "سيدو آغا ديكو"، فقد ضبطها الفرنسيون في منزله وألقوا القبض على ولده "حسن آغا" الذي بقي في السجن مدة من الزمن.

وتزامناً مع قصة البرانيط، ألقى الفرنسيون القبض على "نوري بك" والد الدكتور "مصطفى نوري" وهو تركي الأصل، بتهمة تشكيل جمعية باسم: "جمعية الهلال والنجمة" الذي يرمز إلى شعار العلم التركي، ووجهت إليه تهمة القيام بالدعاية للأتراك.

وقبل هذه الحوادث، كان "نوري الكنج" وهو من أصل تركي أيضاً يقوم بإصدار جريدة باللغة التركية وبالأحرف العربية دام صدورها حتى عام ١٩٣٠ على حد قول أحمد آغا (زنجي).

وفي ضوء هذه الحوادث يتضح بأن الأتراك كانوا يقومون فعلاً بنشاط سياسي في منطقة الجبل في اتجاه ضمها إلى تركيا ربما بالترباط مع لواء اسكندرون، لأن النشاطات التي شهدتها هذه المنطقة كانت تجري بالتزامن مع الاضطرابات في لواء اسكندرون عشية سلخه عن سورية.

وبصدد مسألة علاقات الشيخ إبراهيم خليل مع الأتراك، وإذا صح ما يقوله روجيه ليسكو عن وجود مثل هذه العلاقات، فرمما كان قادة الحركة المريدية في الجبل، لا يعلمون عنها شيئاً، وأنهم ينفون حتى الآن، وبشدة، وجود أية علاقة للحركة مع الأتراك سواء عن طريق الشيخ إبراهيم خليل أو عن طريق سواه. ويقولون بأن الأهداف التي انتسبوا على أساسها إلى الحركة، والتي ظلوا يعملون لها بإخلاص. أنها تتمثل فقط في نشر التعاليم الدينية وفق الطريقة النقشبندية، والنضال ضد المستعمر الفرنسي وضد ظلم الأغوات والإقطاعيين، أما ما دون ذلك فهو خارج عن أهدافهم.

أحداث أعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩

وعودة الشيخ إبراهيم خليل إلى سورية

١- في سورية:

سبق أن ذكرنا بأن الوفد السوري الذي سافر إلى باريس عام ١٩٣٦ لإجراء المفاوضات مع فرنسا حول استقلال سورية، عاد

بعد أن توصل إلى عقد معاهدة "الصدّاقة والتعاون" مع فرنسا" وكان من المأمول أن تفتح هذه المعاهدة صفحة جديدة من التفاهم والتعاون بين الطرفين. ولكن استقبال المعاهدة في كل من سورية وفرنسا لم يكن على شكل واحد.

ففي سورية، استقبلت الجماهير الشعبية المعاهدة بحماس كبير، بينما كان الموقف في فرنسا مغايراً، فقد ذهب أنصار الجبهة الشعبية الفرنسية في اتجاه تأييد المعاهدة من اعتبارها خطوة تحفظ لفرنسا مصالحها التقليدية في سورية، أما اليمينيون والعسكريون، فقد وقفوا بالضد واعتبروا المعاهدة استسلاماً للحركة القومية العربية.

وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه المواقف المتباينة للقوى الفرنسية داخل فرنسا، على الأوساط الفرنسية المختلفة داخل سورية أيضاً. حيث قام غلاة المستعمرين منهم بإحداث قلاقل داخل بعض المدن السورية اتخذت في منطقة الجزيرة طابعاً خطيراً جداً. إذ قام الزعماء الرجعيون لمختلف الطوائف الدينية والعرقية في سائر مدنها وقصباتها، وبتهريض من غلاة المستعمرين الفرنسيين والمترجمين في الاستخبارات الفرنسية. بإحداث قلاقل واضطرابات سرعان ما تطورت إلى حركة عصيان مسلح ضد المعاهدة وضد الحكومة الوطنية وموظفيها المحليين.

فقد كتب المرحوم خالد بكداش في كراسه المعنون: "ماذا في الجزيرة؟" حول ذلك العصيان المسلح ما يلي:

" إنه منذ أوائل تموز عام ١٩٣٧ تجري في أرض الجزيرة العليا حوادث هائلة ليست سوى حلقات متتابعة لمؤامرات واسعة يقوم على ترتيبها وتنفيذها بعض غلاة المستعمرين الفرنسيين أعداء

الشعبين العربي والفرنسي، أعداء المعاهدة الفرنسية- السورية، أعداء الحكم الوطني في سورية وأعداء الجبهة الشعبية في فرنسا^١. وكان القائمون بهذه الحركة العصيانية المسلحة والمناهضون لمعاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين فرنسا وسورية، يستهدفون من وراء حركتهم الضغط على الحكومة الفرنسية في فرنسا من أجل إرجاء التصديق على المعاهدة في البرلمان الفرنسي أو تعديلها على الأقل. وفي حال إصرار الحكومة الفرنسية على تنفيذ المعاهدة، كانوا يطالبون هنا بما يلي:

١- نظام خاص للجزيرة بموافقة جمعية الأمم.
٢- بقاء الجزيرة تحت الانتداب الفرنسي^٢.
وبهذا كانوا يحاولون الإيحاء للسلطات الفرنسية في باريس، بأن الشعب السوري يعارض المعاهدة المعقودة بينها وبين سورية، وبأنه يرغب في البقاء تحت الانتداب الفرنسي.

٢- في لواء اسكندرون:
كانت التسوية التي تمت بين فرنسا وتركيا بخصوص لواء اسكندرون بموجب الاتفاقية المعقودة بين الدولتين في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١ المعروفة باتفاقية فرانكلين- بويون كانت قد بقيت نافذة بصورة مرضية حتى سنة ١٩٣٦ حين اقترح الفرنسيون منح الاستقلال لسورية. وأدى عقد هذه الاتفاقية الأخيرة إلى إرباك أنقرة، التي أخذت تثير موضوع سنحق الاسكندرون من جديد.

^١ - خالد بكداش، في كراسه حول حوادث الجزيرة.

^٢ - خالد بكداش في كراسه المعنون "ماذا في الجزيرة"، انظر الكراس.

وفي جوابها على هذا الطلب أبدت الحكومة الفرنسية استعدادها للدخول في مفاوضات مع الحكومة التركية، شريطة أن تجري هذه المفاوضات ضمن نطاق الاتفاقيات المعقودة بينهما في عام ١٩٢١. وعقب عدة مذكرات ومقترحات متبادلة بين الحكومتين الفرنسية والتركية أحييت المسألة إلى مجلس عصبة الأمم.

وفيما كانت تجري مناقشة المسألة بين مجلس عصبة الأمم والحكومتين الفرنسية والتركية، جرى حشد الجيوش التركية على الحدود السورية ووقعت عدة اصطدامات بين السكان العرب والأتراك في "إنطاكية"، و"الريحانية" وسادت سورية حالة من التوتر الشديد.

وبتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٧ توصل الطرفان الفرنسي-التركي إلى اتفاق مبدئي يقضي بأن يكون لسنجق الاسكندرون نظام أساسي يجري تطبيقه تحت إشراف مندوب فرنسي يجري تعيينه من قبل مجلس عصبة الأمم.

وقد قوبل صدور هذا القرار في سورية بالسخط والألم العميق، وعم شعور عام بأن الحكومة الفرنسية خانت الشعب السوري، وضحت بحقوقه لكسب صداقة تركيا ولضمان حيادها على الأقل في حالة نشوب حرب بين فرنسا وألمانيا.

وهكذا أدت قضية الاسكندرونه وما آلت إليه إلى ازدياد التوتر في العلاقات بين دمشق وباريس في المستقبل^١.

وفي جو كهذا متوتر للغاية، عاد الشيخ إبراهيم خليل إلى سورية.

^١- د. نزار الكيالي، المصدر السابق، ص: ٧٨-٨١.

٣- عودة الشيخ إبراهيم خليل إلى سورية:

وسط هذه الأجواء المتوترة بين فرنسا والحكومة الوطنية في سورية من جراء ما شهدتها سورية من أحداث عقب معاهدة عام ١٩٣٦ ، والتطورات اللاحقة في لواء اسكندرون، وصل الشيخ إبراهيم خليل إلى سورية، واجتمع فور وصوله مع زعماء الكتلة الوطنية في حلب في شارع المحتسب أحد فروع "أقيول" أو "أغيور" حسب قول أحمد جعفر آغا (زنجي)، أو في قسطل الحرامي حسب قول رشيد إيبو، واتخذوا في هذا اللقاء قراراً بتحديد الثورة في جبل الأكراد كوسيلة للضغط على فرنسا التي تخلق المشاكل لسورية في الداخل وفي لواء اسكندرون، ثم غادر الشيخ إبراهيم خليل إلى جبل الأكراد برفقة كل من رشيد إيبو، حمك إيبو، بكر فهمي، وعلي غالب الملقب (قورت علي).

ورغم أن دخول الشيخ إلى سورية كان ممنوعاً من قبل الفرنسيين، فإنه تمكن من التجول في دمشق وحماه وحلب بحرية بمساعدة الكتلة الوطنية.

وفي هذا الوقت أدلى الشيخ إبراهيم خليل بحديث خاص لرشيد إيبو وبعض أنصاره من زعماء المريدين :

"بأن الفرنسيين قالوا له: اذهبوا ووجدوا كلمتكم، فسنمنحكم حكماً ذاتياً في جبل الأكراد على غرار لواء اسكندرون"، وقال الشيخ: بأنه عرض المسألة على "حسين عوني"، فرفضها لعلاقته بالكتلة الوطنية، ورفضها كذلك حاج حنان آغا، لعلاقته مع الفرنسيين^١.

^١ - من حديث خليل رشيد إيبو عل لسان والده رشيد إيبو.

وإثر هذا الحديث للشيخ، بدأ رشيد إيبو وبعض أنصاره المقربين يشيعون بين الناس بأنه: "إذا نجحت حركتهم، فسوف يطلبون من الفرنسيين، أو بالأحرى، سيفرضون عليهم القبول بمنح منطقة جبل الأكراد حكماً ذاتياً على غرار لواء اسكندرون^١."

ولا يعرف إن كان الفرنسيون عرضوا المسألة حقاً على الشيخ إبراهيم خليل، أم كانت الفكرة من لدن الشيخ نفسه؟

فإذا كان الفرنسيون هم الذين عرضوا المسألة على الشيخ، فلا شك أنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى تحقيق أمرين:

١- خلق مشكلة جديدة للحكومة الوطنية من خلال فصل منطقة جبل الأكراد عن سورية، مثلما فعلوا في الجزيرة بإثارة حركة عصيان مسلح فيها ضد الحكومة الوطنية.

٢- إخماد جذوة الثورة في جبل الأكراد التي كانت على وشك الاندلاع، واحتواء حركة المريدن.

أما إذا كانت الفكرة هي من لدن الشيخ نفسه، فهذا شيء آخر، وربما كان المشروع يأتي في إطار مخطط مرسوم إزاء المنطقة مسبقاً، ويراد إثارتها مع تطور الأوضاع في لواء اسكندرون.

حالما وصل الشيخ إبراهيم خليل إلى سورية، وبعد إجرائه المحادثات مع زعماء الكتلة الوطنية في حلب، توجه إلى جبل الأكراد وتمرکز في قرى "بلاليكو" و"ميدانليات"، وكان يرافقه في جولاته حراسه المسلحون.

فباشّر بمقاضاة الناس بنفسه، يفرض على البعض غرامات، ويصادر أسلحة البعض الآخر الذين يجدهم خاملين كثيراً، وكانت

^١ - المصدر نفسه.

كل هذه الإجراءات موجهة بشكل أساسي ضد عائلة الشيخ اسماعيل زاده وأنصارها.

وهكذا دفع الخوف بالعديد من فلاحى عشيرة "البيان"، بل وحتى بعض الوجهاء الصغار الذين كانوا حتى ذلك الحين إلى جانب الأغوات، أن يعلنوا أنفسهم كمريدين^١.

وعندما لمس الأغوات ازدياد نفوذ المريدين المطرد في عام ١٩٣٨، أعلن عدد غير قليل منهم استعدادهم للتصالح مع إبراهيم خليل لمواجهة عائلة الشيخ اسماعيل زاده، وكان من بين هؤلاء الأغوات "حسين عوني" الذي طلب لقاءً مع الشيخ من أجل التصالح. وجرى الاتفاق بينهما على أن يكون اللقاء في قرية "جقماق كبير".

وفي الموعد المقرر لعقد الاجتماع، حضر الشيخ برفقة عدد كبير من المسلحين وتمركزوا في المناطق المحيطة بالقرية متمرسين وراء الصخور، بينما حضر حسين عوني برفقة عدد كبير من المسلحين أيضاً وتمركزوا داخل القرية وانتشر مسلحوه في القرية وعلى أسطح المنازل.

وجرى الاجتماع في دار أحد وجهاء القرية "حسن قادر" حيث حضره بالإضافة إلى الشيخ إبراهيم خليل كل من حسين عوني وحيدر آغا عبدو من قرية "كمرش"، الذي هم بقتل الشيخ أثناء الاجتماع لولا أن حسين آغا عوني رده عن ذلك.

وأثناء تبادل الحديث، قام الشيخ إبراهيم خليل فجأة، وغادر مكان الاجتماع، وامتطى حصانه متوجهاً نحو جامع النبي هوري لأداء صلاة الجمعة مع مريديه.

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٧.

وعندما سئل الشيخ عن سبب هذا التصرف، قال بأنه شعر بوجود مؤامرة لاغتياله، كذا، وفعلاً، تبين فيما بعد، بأن مؤامرة كان قد قام حسين عوني بتدبيرها لقتل الشيخ أثناء الاجتماع وفي أعقاب هذا الحادث توترت العلاقات بين المريدين وبين حسين عوني لدرجة كبيرة.

تطور الأوضاع في الجبل نحو الانفجار

بدأت الأوضاع في الجبل تتطور نحو التوتر المتزايد، وأصبحت فيه حالة اللاأمنية شاملة.

وفي تلك الفترة أجبر الشيخ إبراهيم خليل على مغادرة المنطقة بعد أن وصلت الحالة إلى الدرجة التي لم تستطع السلطات المحلية التستر عليها.

وفي شهر تشرين الثاني حاول محافظ حلب القيام بتدخل خجول، واستنكر عمل الشيخ في دمشق، وأجبر الشيخ على القبول بمغادرة الجبل في كانون الأول عام ١٩٣٨^١.

ويقول روجيه ليسكو أن بعض الساسة السوريين بدؤوا بالشك في علاقات الشيخ مع الأتراك^٢.

وبعد مغادرة الشيخ، سعى كل من "الشيخ حنيف عرب" و"علي غالب" إلى متابعة العمل بعد غياب زعيمهما، حيث عهدت القيادة الروحية إلى الأول، وأسندت مهمة المصالح المادية إلى الثاني

^١- روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٧.

^٢- روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٧.

الذي كان يحظى بثقة كبيرة من جانب الكتلة الوطنية، وكان رشيد إيبو يقدم إليهما المساعدات اللازمة.

وفي هذه الأثناء كانت بوادر المناوشات تظهر هنا وهناك، قام خلالها بعض عناصر المريدين بالاستيلاء على مخفر للشرطة في قرية "زيتوناك" لسلب أسلحة الشرطة، فقتل في الحادث أحد أفراد الشرطة وتم أسر الآخرين، وعلى أثر هذا الحادث اعتقل الشيخ حنيف عرب في قرية "ناز أوشاغي" من قبل قائد الدرك "بهيح الخطيب" الذي يقول المريدون عنه بأنه كان عميلاً ومتواطئاً مع الفرنسيين. وحكم على الشيخ حنيف بالإعدام ثم خفف إلى السجن المؤبد، حيث قضى من مدة الحكم ثماني سنوات في سجن خان اسطنبول بحلب، وأخرج من السجن على أيدي رفاقه المريدين عام ١٩٤٦ عند جلاء الفرنسيين عن البلاد.

وبعد مغادرة الشيخ إبراهيم خليل الجبل، واعتقال الشيخ حنيف عرب، خلّت الساحة لرشيد إيبو ليكون القائد الوحيد للحركة كما يقول هو عن نفسه^١.

وبعد اعتقال الشيخ حنيف عرب وتولي رشيد إيبو قيادة الحركة، بدأت وتيرة المناوشات تتصاعد وتأخذ طابع معارك فعلية بين المريدين وبين القوات الفرنسية التي أخذت زمام الأمر بيدها بعد سقوط الحكومة الوطنية في ١٥ شباط ١٩٣٨.

ومن أجل قمع الحركة، زجت السلطات الفرنسية بقوة كبيرة إلى المنطقة مؤلفة من "المليس" و"أصحاب القبعات الحمراء"، وجرت بين الطرفين عدة معارك ضارية، وتحولت منطقة جبل الأكراد بأكملها إلى ساحة للثورة امتدت حتى حدود "إعزاز" مما بادر معه

^١ - من معلومات خليل رشيد إيبو، على لسان والده.

الآغوات في تلك المناطق (مثل "منان نيازي" في قرية "سيجراز" القريبة من مدينة إعرار) إلى أخذ احتياطاتهم لمواجهة الموقف بتسليح رجالهم والوقوف على أهبة الاستعداد. وفيما يلي البعض من هذه المعارك التي دارت بين المريدين وبين القوات الفرنسية، هذا، علماً أن جميع المعلومات المتعلقة بالمعارك التي سنوردها مأخوذة من خليل رشيد إيبو على لسان والده كتابياً.

١- معركة النبي هوري ١٩٣٨:

خطط الفرنسيون بالتعاون مع عملائهم من الآغوات لمهاجمة المريدين في الجامع الذي يؤدون فيه صلاة الجمعة، وقبل الصلاة أرسل المريدون أربعة شبان ليتفقدوا المنطقة المحيطة بالمسجد، وهناك، أطلق الفرنسيون النار على هؤلاء الشبان فقتلوا واحداً منهم وهو المجاهد "اسماعيل ده ده" من قرية "أمر سمو" واختبأ الآخرون في الأدغال.

يقول رشيد إيبو حول هذه المعركة ما يلي: وعلى أثر الحادث تنبها وهاجمناهم من جميع الجهات، فقتلنا عدداً من الفرنسيين والعملاء وأسروا ستة منهم، وكان من بين القتلى "صوران آغا شيخ اسماعيل زاده" من قرية "بيك أوبه سي". ويذكر بأنه بعد نقل جثمان صوران آغا إلى قريته "بيك أوبه لي"، ذهب "جعفر آغا شيخ اسماعيل زاده" مع عدد من أتباعه إلى تلك القرية لتعزية أهل الفقيد، وعند عودتهم نصب لهم المريدون كميناً فقتلوا جعفر آغا وشخصاً آخر يدعى شيخ اسماعيل من قرية "صولاقلي" وشخصاً ثالثاً من قرية "حضرينانلي" يدعى "موس زش"، وأثناء تبادل إطلاق النار بين أهل القرية وبين المريدين، قتل

شخص من جانب المريدين يدعى "حجيك شومه" من قرية "ماماللي".

٢- معركة بارسه طاغ ١٩٣٩:

وحول هذه المعركة يقول رشيد إيبو:

في صباح أحد الأيام، كنا حوالي / ٥٠٠ / مجاهد، نتجمع في جبل "بارسه" الحصين بعد أن قام أحد المجاهدين بقطع هاتف المستشار الفرنسي في "إعزاز"، وهو المجاهد "عبد المنان هورو رشيد" برفقة عشرين شخصاً من رفاقه.

وفي هذا الجبل هاجمتنا القوات الفرنسية بالطائرات والمصفحات وفوج المشاة الرابع بقيادة الكولونيل "دوشه ليون"، والكومندان "مركوي" وعدة كواكب من خيالة الجيش الفرنسي / سبايس /، ودامت المعركة من الصباح وحتى غروب الشمس.

وفي الظلام انسحبنا إلى جبل آخر يدعى "كر" المشرف على قرية "بلبل" والواقع على الحدود التركية.

وقد أسفرت المعركة عن إسقاط طائرتين للعدو، وقتل عدد كبير من جنوده، وخاصةً أصحاب الطاقيات الحمر، واستشهد منا مجاهد واحد فقط يدعى "منان طق" من قرية "علي بك"، وجرح مجاهد من قرية "نخاي أوغلي" وأسر الفرنسيون منا تسعة أشخاص.

٣- معركة بلبل:

ويضيف رشيد إيبو قائلاً:

وعند انسحابنا من جبل "بارسه" تحصنا في جبل يشرف على قرية بلبل يدعى "كر الكبير" أو "كربالي"، وهناك أحس أحد الجواسيس بوجودنا في هذا المكان، فأخبر الفرنسيين الذين سارعوا إلى إرسال

جيش بقيادة الكومندان "مركوي" واليوتنان "جورج أورو كجي" فاشتبكنا معهم وأجبرناهم على الفرار بعد أن قتلنا منهم عدداً وغنمنا بعض الأسلحة.

وكان يتزعم المريدين في هذه المعركة "مصطفى عكالو" من قرية "قورنه".

٤- معركة بنديرك:

وفي نيسان ١٩٣٩ كنا نجتمع حوالي / ٦٠ / مجاهداً في منطقة قرب قرية "بنديرك" القريبة جداً من الحدود التركية، وهناك وصلتنا أخبار بقدوم جيش فرنسي باتجاهنا يحاولون وضعنا بين فكي كماشة، حيث كان القسم الأول يتقدم باتجاهنا من "ميدان أكبس" وعددهم نحو / ٧٠٠ / مسلح من الفرنسيين وأعوانهم، والقسم الآخر يتقدم من قرية "بيك أوبه سي" بقيادة الكومندان "مركوي" والكابتن "بنيتو" قائد الكوكبة / ٤٧ / ويقدر مجموعهم بحوالي / ٤٠٠ / مسلح.

ويتابع رشيد إيبو قائلاً: فقامت أنا بتقسيم مقاتلينا إلى كمائن عند مفارق الطرق يتألف كل كمين من / ١٠ / أشخاص، وبدأت المعركة التي اشتركت فيها المصفحات والطائرات الفرنسية، ولكن رغم ذلك تمكنا من قتل العديد منهم وجرح آخرين كان بينهم الكابتن "بنيتو"، حيث نقلوا جرحاهم على عجل إلى ميدان أكبس.

وتمكنا في هذه المعركة من الاستيلاء على / ١٣ / راحلة محملة بالذخائر وكميات كبيرة من المؤن والبطانيات.

وعلى أثر هذه المعركة التي خرج منها الفرنسيون خاسرين، لجأوا إلى الانتقام من السكان الآمنين، حيث قامت طائراتهم بعمليات

قصف وحشي على القرى والسكان الآمنين، وعلى الأخص منها، قرية "بلاليكو" مسقط رأس رشيد إيبو ومقل المريدين الرئيسي، وقرى: مالك - ضوضو - كوانده - جنجللي - عبودان - ناز أوشاغي - قورت أوشاغي، وغيرها. وتم تهجير أكثر من ثمانية آلاف شخص من أبناء المنطقة إلى تركيا، وقام الفرنسيون بنفي عائلة رشيد إيبو إلى خارج المنطقة بين حماه وحلب لمدة أربع سنوات.

وقبل هذه الحوادث، كان الفرنسيون تفاوضوا مع المريدين بقيادة رشيد إيبو على الاستسلام والتطوع في الجيش الفرنسي، ومنح رشيد إيبو رتبة ملازم، إلا أن المريدين رفضوا ذلك وآثروا القتال ضد الفرنسيين.

وبصدد لجوء المريدين إلى تركيا بعد قصف قراهم بالطائرات، وحرق بيوت زعمائهم على أيدي القوات الفرنسية، والآغوات الحاقدين عليهم، يكتب روجيه ليسكو ما يلي: "إن حيراننا (ويقصد الأتراك. ر.ح) استقبلوا أولئك اللاجئين، وتكفلوا بإعاشتهم وشجعوهم على الإقامة عندهم، معتقدين بأن وجود عدد كبير من اللاجئين في إقليمهم يزيدهم حجة للمطالبة بضم كرد طاغ^١.

وبعد الإخفاق الذي منيت به الحركة المسلحة للمريدين لعدم تمكنهم من مواجهة لواء كامل من الجيش الفرنسي الذي أرسل إلى منطقة الجبل لقمع الحركة، واضطرار أكثر من ثمانية آلاف شخص للجوء إلى تركيا، لم تتوقف المناوشات على الحدود التركية- السورية، بل ظلت مفارز المريدين تحتاز الحدود سراً وتهاجم بعض

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٨.

القرى الحدودية، ولكن، كانت المريدية قد فقدت مع ذلك فعاليتها، وكان أتباعها المتواجدون في سورية يتجنبون إظهار أنفسهم، وكانت السلطات الفرنسية تقوم بتجريد الجبل من السلاح^١.

تزامن أحداث الجبل مع أحداث لواء اسكندرون:

وفي الوقت الذي كانت أحداث منطقة جبل الأكراد تتطور فيه على النحو الذي ذكرناه، كانت مؤامرة ضم لواء اسكندرون إلى تركيا قد أخذت كامل أبعادها، وكأن أحداث المنطقتين كانتا على موعد.

ففي الوقت الذي كان يجري فيه تنفيذ مؤامرة سلب اللواء عن سورية وضمه إلى تركيا، كانت القوات الفرنسية التي يفوق عددها على لواء كامل من الجيش تقوم بقمع الحركة المسلحة للمريدين في جبل الأكراد، وتفرض على المنطقة مراقبة شديدة.

حوادث عام ١٩٤٠

وعودة الشيخ إلى سورية ثانية

وفي حزيران عام ١٩٤٠ جاء الشيخ إبراهيم خليل إلى حلب سراً لاستعادة بعض الاتصالات، على أمل التحضير لانفاضة جديدة، إلا أنه أجبر على العودة بسرعة إلى تركيا بعد أن قتل أحد أفراد الشرطة كان قد تعرف عليه.

وفي الوقت نفسه وقعت في الجبل بعض الاشتباكات بين القطعات العسكرية المكلفة بالمراقبة، وبين مجموعات مسلحة من المريدين، كما قام المريدون بغارات على بعض القرى في الجبل.

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٩.

ففي ١٥ تموز ١٩٤٠ هاجموا محطة "ميدان أكبس" وفي ليلة ٢٦ و ٢٧ من الشهر هاجموا قرية "مماللي" واستمرت المناوشات المتقطعة هنا وهناك لفترة من الوقت كان يخشى معها الفرنسيون بأن يستأنف الهيجان بين يوم وآخر، فأسبابه الاجتماعية والسياسية ما زالت قائمة^١.

لكن الحركة هدأت شيئاً فشيئاً، لأن زعماء المريدين باتوا إما في السجون أو في المهجر.

أما الشيخ إبراهيم خليل نفسه فقد أبعد الأتراك عن الحدود، واستقر في بلدة "مانيسا" أقصى شمال تركيا، حيث قتل هناك في خلاف على الأراضي.

ولكن ماذا حل بمشروع الأتراك الرامي إلى ضم جبل الأكراد إليهم كما يؤكده الكاتب والديبلوماسي الفرنسي "روجيه ليسكو"؟ يقول ليسكو بأن المشروع صار إلى الإرجاء بسبب تغير الأوضاع في فرنسا (أوربة) عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ففي شهر أيار عام ١٩٤٠، في بدايات الحرب العالمية الثانية، احتلت القوات الألمانية فرنسا، وقبل المارشال "فيليب بيتان" العمل مع الألمان، وأصبحت السلطة الفرنسية في سورية - تبعاً لذلك - تابعة للمارشال بيتان الموالي للألمان، فيما كانت تركيا تميل إلى الحلفاء عملاً بالاتفاقية المعقودة بينها وبين فرنسا في ٢٣ حزيران ١٩٣٩^٢.

لذلك، كان أنصار بيتان في سورية، يرون في نشاطات المريدين على الحدود التركية - السورية نوعاً من التحرشات التركية

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٩.

^٢ - بلسم كامل، ثورة جبل الأكراد "الملاحظات"، ص: ٨١.

ضدهم، فأرسلوا قوات إضافية إلى جبل الأكراد للوقوف في وجه تلك التحرشات درءاً للطوارئ.

وإن إرسال هذه القوات من جهة، وعدم تأكيد الأتراك من الحالة في البلقان من جهة ثانية، قادهم إلى التخلي عن مشاريعهم مؤقتاً^١. في اعتقادنا أنه، إذا صح ما يقوله روجيه ليسكو عن وجود مشاريع تركية لضم جبل الأكراد إليهم، كما فعلوا بلواء اسكندرون، فإن هذه المشاريع ولدت ميتة، لأن ظروف جبل الأكراد تختلف اختلافاً كلياً عنها في لواء اسكندرون من ناحيتين علي الأقل:

أولاً: لا يوجد في جبل الأكراد أي عنصر تركي كي تتذرع بهم تركيا للمطالبة بضمه إليها كما فعلت بلواء اسكندرون.

ثانياً: لكون سكان منطقة جبل الأكراد جميعهم من العرق الكردي، فلم يكن يسيراً على الأتراك التغلب على الميول المعادية لهم والمترسخة في نفوس الأكراد التي تغذيها الذكريات عن مظالمهم ضد الشعب الكردي.

ويكفي أن نذكر تجربة إرسال البرانيط إلى أهل الجبل عام ١٩٣٧ كي يلبسوها عند الإعلان عن ضم الجبل إلى تركيا، فكان جواب أهل الجبل، إحراق تلك البرانيط على المزابيل.

وهكذا، وعندما تمت تسوية مسألة لواء اسكندرون على النحو الذي عرفناه، وضع الأتراك عندئذ مشاريعهم إزاء جبل الأكراد في الأرشيف.

بقي المريدون الذين لجأوا إلى تركيا هناك ردىاً من الزمن، ثم بدؤوا بالعودة إلى ديارهم في سورية بعد أن لمسوا عدم مضايقة

^١ - روجيه ليسكو، نفس المصدر، ص: ٦٩.

الفرنسيين لهم، وعاد أغلبهم إلى سورية ما عدا زعمائهم الذين ظلوا هناك حتى عام ١٩٤٦ عند جلاء الفرنسيين عن سورية. وفي ٢٠ آذار ١٩٤٦، وبناءً على دعوة قائد درك حلب "منير مللي" بدأ أولئك الزعماء بالعودة أيضاً للمشاركة في طرد الفرنسيين من البلاد.

فبدأوا بالهجوم على مخافر الفرنسيين في جبل الأكراد، ثم شاركوا أهل إعزاز في طرد الفرنسيين منها، وأخيراً وصلوا إلى حلب وقاموا بمساعدة سكان المدينة في ضرب مقرات الفرنسيين وطردهم منها، وتوجهوا خلال ذلك إلى سجن "خان اسطنبول" حيث حرروا رفاقهم المسجونين (الشيخ حنيف عرب، محمد يوسف، محمد خليل وبلال نابو) وأخرجوهم من السجن مع المساجين الآخرين.

وألهم هذا الموقف شاعرية الشاعر الكبير "عبد الحسيب العلي" فمدحهم بقصيدة بعنوان:

"المريدون أبطال جبل الأكراد قد أتونا مدججين بنار
لطردهم فرنسا من أرض الوطن"

حان حين العدو واندرح الظل م فهيا إلى العالي صعودا
ها هم الشم في الجبال أتوكم لا يريدون في الحياة قعودا
حي فيهم بطولة القائدين حي فيهم حنيفهم ورشيدا
ليس عارا مبيتهم في جبال إنما العار أن يبيتوا عبدا

وبتاريخ ١٧ نيسان عام ١٩٩١ ألقى الشاعر أحمد علي البابلي قصيدة مجد فيها أبطال ثورة الجبل وذكر الكثير من المعارك والوقائع المشهودة لتلك الثورة نقتطف منها الأبيات التالية:

حيوا البطولة واذكروا الأبطال
هذي ذرا هوري تفجر غصبة
غضبت أعالي بارس داغ على
ومعارك في بلبل شنت على
وسفوح قره بيل تمزق هجمة
بركان بندرك يفجر ثورة
سرب من الغربان تلفظ ويلها
قصفت بلاليكو فثار حماها
أكراد أمتنا أباة سادة
عيد الجلاء منارة بنيت على

وبعد جلاء المستعمر الفرنسي من البلاد، استقر رشيد إيبو والشيخ
حنيف عرب وسائر أتباعهم من المريدين في قرية "بلاليكو"
المحصنة، وظلوا متمسكين بتعاليم شيخهم إبراهيم خليل.
وإن زعماء الحركة، من الشيخ حنيف عرب ورشيد إيبو وسواهما،
كانوا اكتسبوا هيبة في منطقة الجبل حتى أنهم أقاموا "سجناً" في
قرية بلاليكو، كانوا يسجنون فيه مناوئهم.
وفي عام ١٩٧٢ منح الرئيس (الراحل) حافظ الأسد لقب
"مجاهد" لرشيد إيبو، في المرسوم التشريعي رقم ٤٨ تاريخ ١٨ / ٧
/ ١٩٧٢، ولا زال هذا المجاهد حياً يرزق.

الاغتيالات وأعمال القتل الفردية

لم يقتصر الصراع بين المريدين وبين خصومهم الآغوات على المعارك والمجاهبات العسكرية المباشرة، بل لجأ كل طرف منهما إلى تصفية خصومه باغتيال العناصر البارزة فيهم، بغية كسر معنوياتهم وإجبارهم على الاستسلام. ومن العناصر الذين قتلوا أو اغتيلوا نذكر أسماء أبرزهم فيما يلي:

١- قام المريدون بمحاولة اغتيال "كور رشيد" زعيم عائلة الشيخ اسماعيل زاده، وكان الشيخ إبراهيم خليل قد أفق بآن من يقتل كور رشيد يدخل اللجنة، فقام بتنفيذ العملية شخص يدعى "اسماعيل قره أومو" من قرية "صولاقلي" الملقب (جرنو) حيث أطلق عليه النار وهو في سيارته وسط عفرين، إلا أن الرصاصة لم تمته، بل جرح من فمه وبطنه، ونقل إلى المستشفى وشفى، لكن يقال بأنه مات بعد ذلك متأثراً بآثار تلك الجراح.

٢- وفي عام ١٩٤٦، قام شخص من المريدين أيضاً يدعى "خالد قاسم" من قرية "شيخ خروز" بمحاولة قتل "شيخو آغا" زعيم عائلة الشيخ اسماعيل بعد وفاة كور رشيد، فأطلق عليه النار في مدينة حلب، إلا أن شيخو آغا نجى من الموت وشفى من جراحه.

٣- وفي عام ١٩٤٧، قام آغوات الشيخ اسماعيل زاده، وعلى رأسهم أحمد آغا جعفر (زعجي)، بتدبير مؤامرة لقتل الشيخ حنيف عرب زعيم المريدين وخليفة الشيخ إبراهيم خليل، فجهزوا شخصاً بمسدس وكلفوه بقتل الشيخ حنيف وسط عفرين وأمام دار الحكومة، فأطلق هذا الشخص النار عليه وأرداه قتيلاً، إلا أن أتباع الشيخ حنيف من المريدين الذين كانوا يرافقونه قتلوا

بدورهم القاتل، وشخصاً أرمنياً بالخطأ، وجرح في الحادث والد الحاكم "عثمان محمد عثمان" ويذكر بأن الشيخ حنيف كان قد رشح نفسه آنذاك لانتخابات عام ١٩٤٧، وكان الآغوات يخشون من فوزه المؤكد، لذا قاموا بقتله ويذكر أن ولدي الشيخ رشيد إيبو (محمد و خليل) عثرا بين كتب الشيخ حنيف بعد اغتياله على خريطة كردستان بحجم صغير وكتب عن الأكراد.

٤- ومن أجل أخذ ثأر عمه، قام ابن "الشيخ ديان" شقيق الشيخ حنيف بقتل شيخو آغا أمام دار الحكومة في دمشق، وكان شيخو آغا نائباً في البرلمان السوري، ثم إن ذلك الشخص (القاتل) أعدم في دمشق.

٥- كنا ذكرنا، بأن "صوران آغا" الشيخ اسماعيل زاده، كان قد قتل في معركة "الني هوري"، فذهب "جعفر آغا" الشيخ إسماعيل زاده، مع عدد من أتباعه إلى قرية "بيك أوبه سي" لتعزية أهل الفقيد، وعند عودتهم من القرية، نصب لهم المريدون كمينا وأطلقوا عليه النار من جميع الجهات، فقتل جعفر آغا وشخص آخر من رفاقه يدعى "الشيخ اسماعيل" وهو أحد وجهاء قرية "صولاقلي"، كما قتل شخص ثالث يدعى "موس رش" من قرية "خضر يانلي"، وأثناء تبادل إطلاق النار بين أهل القرية وبين المريدين قتل شخص من طرف المريدين يدعى "حجيك شومه" من قرية "مماللي".

٦- قامت مجموعة من المريدين يقودهم "مصطفى بلال محمد" من قرية "جطل قوي" بمحاولة قتل سيدو آغا ديكو في منزله، حيث هاجموا المنزل ليلاً، وجرى تبادل إطلاق نار كثيف بين الطرفين. إلا أن سيدو آغا نجا من القتل بأعجوبة.

٧- قام شخص يدعى "عبد الرحمن حلاق" بقتل ابن "الشيخ عيسى" من قرية "ميدانكي" الذي كان شيخاً للطريقة القادرية، ويقال بأن قتله كان بتدبير من المريدين التابعين للشيخ إبراهيم خليل، الذين يتبعون الطريقة النقشبندية.

٨- قتل "بكر فهمي" أحد زعماء المريدين البارزين الذي كان معاوناً للشيخ إبراهيم خليل في لواء اسكندرون، وكان يقود جماعة من المريدين هناك حتى عام ١٩٣٨، ويقال بأن المريدين هم الذين قاموا بقتله بأمر من الشيخ إبراهيم خليل لأسباب غامضة.

٩- وفي عام ١٩٤٩ قتل شخص آخر من زعماء المريدين البارزين يدعى "علي غالب" الملقب (قورت علي) من قرية "سعرنجك" وجرى قتله في "عنتاب" في ظروف غامضة. ويقول أحمد آغا (زنجي) عن قتل هذا الشخص، بأن الشيخ إبراهيم خليل قتله بنفسه، بسبب أن المغدور كان قد كتب رسالة إلى أهله يذكر فيها بأن الشيخ إبراهيم خليل هو عميل للأتراك، وبأن الرسالة وقعت في يد الشيخ، ولذلك قام بقتله بنفسه. وهناك العديد من الناس الذين قتلوا على أيدي هذا الطرف أو ذاك، يتعذر علينا ذكر أسمائهم جميعاً.



الشيخ إبراهيم خليل



الشيخ
حنيف عرب



الشيخ
رشيد إيبو



مغلف نهاية الكتبية